حسين عبد الواحد

أغرب جرائم النصب

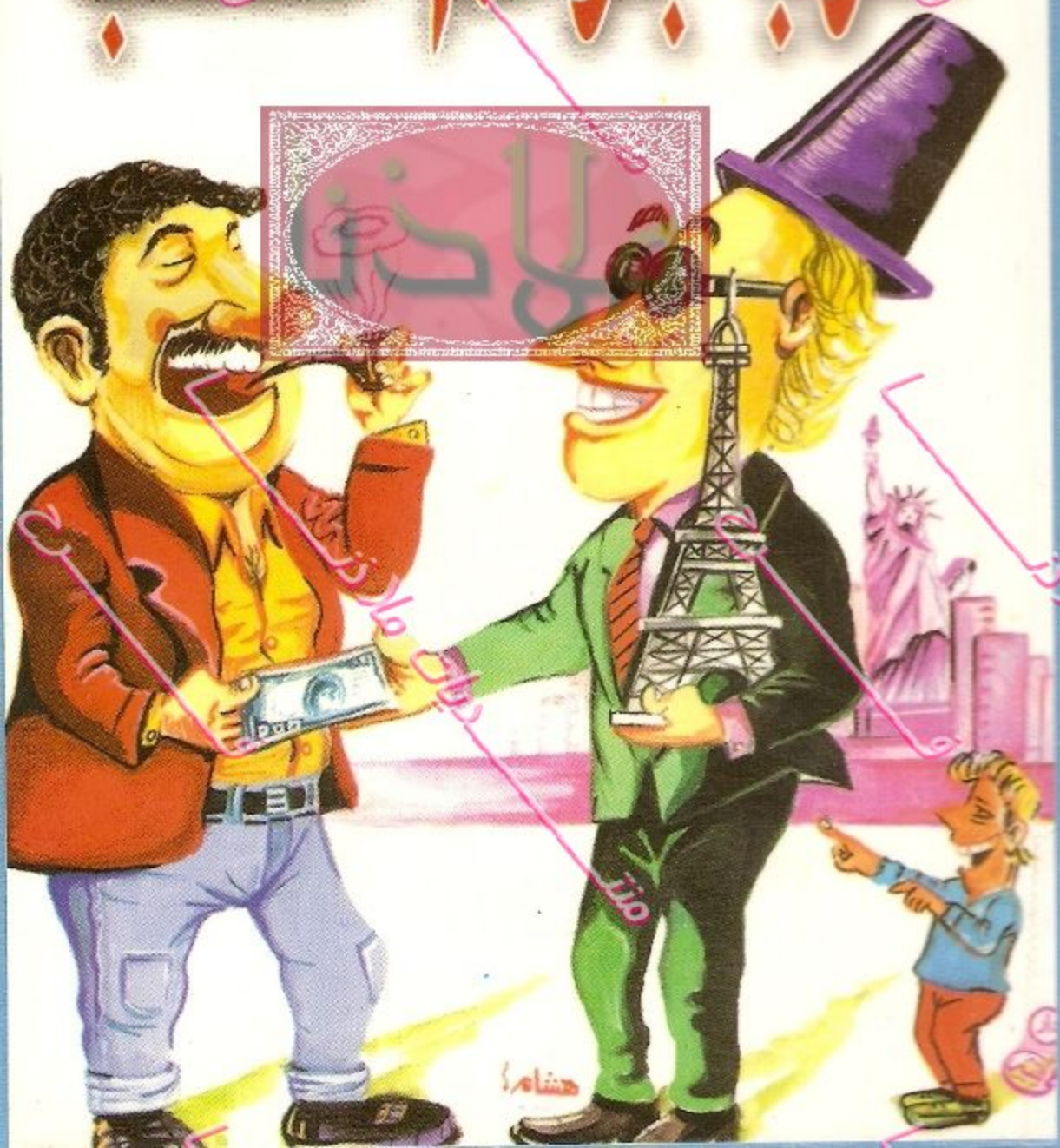

تقديم

الإحتيال ليس جريمة تقليدية يتم خلالها إنتهاك القانون.. والمحتال أو النصاب ليس مجرد مجرم من الطراز الشائع، الذى تتركز خطورته فى العنف، أو القدرة على ممارسة الشر، وإرتكاب الجريمة.

الإحتيال جريمة أقرب لمباراة فى الذكاء.. طرفا المباراة هما المحتال والضحية، أو المجنى عليه.. وهى مباراة تتم وفقاً لقواعد الذهاء وقوانين المنطق والذكاء.

والشرط الأساسى الذى يتعين توافره فى أى محتال هو أن يكون على أكبر قدر ممكن من الذكاء والقدرة على الإقناع.. فجريمة النصب أو الإحتيال تتم على ٣ مراحل.. الأولى هى مرحلة تدبير الخطة ووضع سيناريو الأحداث بحيث يكون مقنعاً وليس فيه مايثير أى ريبة أو شكوك. وهذه المرحلة ربما تتطلب أن يتحمل المحتال بعض النفقات من أجل جمع المعلومات أو إعداد وتهيئة أفضل الظروف لإتمام عملية الاحتيال.

أما المرحلة الثانية فهى مرحلة إختيار الضحية. وفى هذه المرحلة تتجلى أعظم قدرات المحتال فى الحكم على البشر وكأنه خبير فى علم الاجتماع

أو علم النفس. وحسن إختيار الضحية المناسبة يمثل خمسين فى المائة من فرصة نجاح الجريمة التى يدبرها المحتال. وأهم مواصفات الضحية فى جرائم النصب والإحتيال أن يكون واثقاً فى نفسه لدرجة الغرور مؤمناً بذكائه بل وعبقريته التى تجعله يتجاوز بعض التفاصيل التى يراها تافهة بينما هى فى الواقع ذات أهمية أساسية. ومن أهم صفات الضحية فى جرائم النصب أيضاً الجشع والرغبة الشديدة فى التملك حتى ولو تم ذلك بشكل غير قانونى وغير مشروع.

أما المرحلة الثالثة أو الأخيرة فى جريمة النصب والاحتيال فهى مرحلة التنفيذ.. وفى هذه المرحلة تبدأ المواجهة الحقيقية بين ذكاء المحتال فى مواجهة ضحيته ولذلك، يكثف المحتال كل قدرته على الاقناع ويستخدم كل وسائل الإغراء الممكنة حتى يستدرج الضحية للوقوع فى الشرك وإبتلاع الطعم.

وفى كل مراحل جريمة الاحتيال، يحرص المحتال على أن يبدوا فى أروع صورة خاصة من حيث الشكل.. فهو غالباً شخص ثرى أو أنيق، جذاب لبق فى حديثة مجامل فى عباراته وسلوكياته والأهم من كل ذلك إنه شخص سخى إلى درجة الإسراف ينفق على المحيطين به حتى يحظى بولائهم واحترامهم..

وجريمة الإحتيال الكاملة هى تلك التى لايستطيع الضحية أن يلجأ بعد تصرفه لها إلى سلطات الأمن لكى تعيد له حقه المسلوب. ويحدث ذلك عادة لسبب من اثنين: الأول: أن يكون المحتال بارعاً لدرجة إستغلال ثغرات فى القانون لإرتكاب جريمته دون أن يقع تحت طائلة هذا القانون

وهذا النوع هو الذى تنطبق عليه مقولة إن القانون لايحمى المغفلين بمعنى إن القانون لايحمى من لاينتبهون للثغرات القانونية التى يستغلها المحتالون فى ارتكاب جرائمهم.

والسبب الثانى أن يعجز المجنى عليه عن اللجوء لطلب حماية القانون لإقتناعه بأن يد القانون ستطوله هو أيضاً إلى جانب المحتال لأنه تورط فى أنشطة غير مشروعة. وفى هذه الحالة يستسلم المجنى عليه عادة لمصيره ويقبل الخسارة التى لحقت به بل وربما يشارك فى التغطية على الجريمة التى ارتكبها حتى لاتفتح عليه أبواباً أخرى قد تسبب له خسائر أكبر وأفدح.

وفى أحيان كثيرة، يكون للمرأة دور كبير فى عالم الاحتيال، فجمال المرأة وأنوثتها وسحرها، كلها عناصر حرص الكثيرون من أشهر المحتالين على إستغلالها كوسيلة للتأثير على الضحية أو للفت انتباهه بعيداً عن شبكة العنكبوت التى يوشك على السقوط فيها.

إن أغرب وأخطر جرائم الاحتيال هى تلك التى تميز خلالها المحتال بذكاء غير عادى فى مواجهة ضحية على قدر كبير من الذكاء أيضاً.. وهناك دائماً عنصر طريف فى جريمة الاحتيال خاصة إذا كان الضحية من أبناء بعض المناطق المشهورة بطيبة أهلها أو سذاجتهم مثل أبناء الصعيد والريف فى مصر وسكان إقليم بافاريا فى جنوب المانيا وأبناء اسكتلندا ومواطنى ولايات الغرب والجنوب الأمريكى خاصة من تجار الماشية ومربيها..

وكثيراً ماتتحول جرائم النصب التى يتعرض لها هؤلاء الناس الطيبون إلى فكاهات تثير الضحك ولامانع من إضافة بعض المبالغات إليها. ولكننا

نذكر قصة ذلك الريفى الذى اشترى الترام أو الصعيدى الذى اشترى ميدان العتبة. والواقع أن هذه القصص الساخرة غالباً ماتكون لها جذور فى ملفات الشرطة الخاصة بجرائم النصب والإحتيال. وهذا النوع من الجرائم التى تثير الضحك منتشرة فى جميع أنحاء العالم وفى هذا الكتاب، سنقرأ قصة المحتال الذى باع برج إيفل مرتين لتجار الخردة والمحتال الآخر الذى عرض قصر بكنجهام الذى تعيش فيه ملكة بريطانيا للبيع.. وأيضاً قصة عرض البيت الأبيض مقر رئيس أمريكا للإيجار! وحكاية تمثال الحرية الذى استطاع أحد المحتالين أن يقنع مواطناً أستراليا بشرائه حتى يتمكن من نقله إلى ميناء سيدنى باستراليا بدلاً من مكانه الحالى فى ميناء نيويورك الأمريكى.

وفى الأدب العالمى، لايمكن تجاهل تلك الشخصية الرائعة للمحتال الذكى خفيف الدم التى أبدعها الروائى الفرنسى الشهير وهى شخصية أرسين لوبين الذى إستحق عن جدارة لقب اللص الظريف.. وتمثل ملامح هذه الشخصية النموذج الكلاسيكى للمحتال. فهو على قدر كبير من الذكاء، جميل الشكل، سريع البديهة، خفيف الدم، يرفض اللجوء للعنف ومنعته الكبرى هى السخرية من رجال الشرطة.

وقد أضاف الروائى الفرنسى موريس لبلان بعداً إنسانياً لشخصية أرسين لوبين حتى يجعله قريباً من القراء ويحوله إلى بطل درامى بالمعنى الأدبى للكلمة.. وتمثل هذا البعد الانسانى فى مساندة أرسين لوبين للضعفاء وحرصه أكثر بكثير مما يحتاجونه.

وبهذه الطريقة، إستطاع المؤلف الفرنسى موريس لبلان أن يضمن تعاطف القراء مع بطله الدرامى أرسين لوبين مهما إنتهك من قوانين ومهما ارتكب من جرائم.

وفى تراث كل شعب، هناك بالتأكيد شخصية على غرار أرسين لوبين الهدف منها الانتقام لمظالم الضعفاء وتحقيق أحلام الفقراء ويرجع تعاطف الناس عادة مع مثل هذه الشخصية إلى حقيقة أنها لاتميل للعنف خفيفة الدم تنتمى إلى العامة ولاتشغل أى منصب رسمى يوفر لها السلطة والنفوذ.

وربما كان تحدى مثل هذه الشخصية للقوانين السائدة وللسلطات المسئولة أحد أسباب تعاطف العامة معها تعبيراً عن احساسهم بالظلم أو السخط وإحتجاجاً على أوضاع يرفضونها ولكنهم عاجزون لسبب أو لاخر عن مواجهتها واعلان موقفهم منها.

وفى كل الأحوال، تبقى جريمة النصب والاحتيال عملاً ضد القانون وإنتزاعاً لحقوق الغير بوسائل قد تختلف أوصافها الا أنها تظل غير مشروعة بل وإجرامية.

ويؤكد خبراء علم الجريمة إن عمليات النصب والاحتيال يمكن أن تتكمش وتتضاءل إلى أدنى مستوى لها إذا تقلصت نزعة الجشع لدى ضحايا هذا النوع من الجرائم.. فالمجنى عليه عادة مايكون شخصاً يتميز بالطمع والرغبة فى الحصول على مكسب هائل ليس من حقه أو بدون بذل الجهد الذى يؤهله للحصول على هذا المكسب. وتمثل هذه الصفة الثغرة الرئيسية التى ينفذ منها المحتال ويخترق من خلالها نزعة الحرص الغريزى لدى كل إنسان فيصل إلى هدفه بسهولة مستمداً كل العون من ضحيته الذى يقع دائماً فى أفدح خطأ يمكن أن يرتكبه مخلوق.. وهو أن يتوهم أنه أكثر ذكاء من الآخرين.

حسين عبد الواحد

كلمة الناشر

الذكاء سمة أساسية من سمات أى مجرم محترف.. ولاشك أن تخطيط وتنفيذ الجريمة، أى جريمة، يتطلب قدراً من الذكاء الذى قد يصل فى بعض الأحيان إلى درجة العبقرية.. وهذه القدرات العقلية التى يتميز بها المجرم المحترف ضلت طريقها بكل تأكيد، فبدلاً من التوجه نحو الإبداع والخلق فى مجالات الخير والفضيلة، انحرف إلى عالم الشر والرذيلة وأخذ يتفنن ويبدع فى كيفية إنتهاك القوانين والإعتداء على الشرعية..

وفى عالم محترفى الاجرام، يكون المحتال أو النصاب هو الملك غير المتوج، فهو الأكثر ذكاء والأكثر أناقة وربما أيضاً الأكثر ثراء.. وينظر بقية المجرمين إلى المحتال على أنه «الولد الشقى» خفيف الدم الذى ينتمى إلى طبقة المجرمين الأرستقراط فهو لايستخدم عضلاته أو قوته ولايكشر عن أنيابه ولايستخدم أى سلاح سوى العقل الذى يخوض به «لعبة الدهاء» فيحقق المكاسب فى ضربة واحدة ما يعجز أعتى المجرمين عن تحقيقه عبر سنوات طوال من ممارسة أشكال الجريمة الأخرى.

وربما يكون المحتال هو المجرم الوحيد الذى تثير جرائمه الضحك والسخرية من ضحاياه خاصة إذا كانوا من الفئات الشهيرة بسذاجتها فى

المجتمع أو من الطغاة ذوى النفوذ الذين يسعد الناس لإنتصار المحتال عليهم.. وقد يكون مصدر الضحك على جريمة الإحتيال هو أنها أحا أشكال الكوميديا السوداء التى تثير ضحكاً هو أقرب للبكاء وهذا الكتاب يقدم مجموعة نماذج لأطراف وأشهر عمليات الإحتيال التى جرت فى مختلف أنحاء العالم.

وإذا كانت هناك سمة مشتركة بين هذه الجرائم كلها فهى بالتأكيد إنتما ضحاياها إلى تلك الفئة الشهيرة من البشر التى لايحميها القانون بمقتضى المقولة المعروفة فى كل البلدان والتى تؤكد أن القانون لايحمى المغفلين

محمدى كامل

① المحتال.. باع برج إيفل مرتين!!

"محتال دولى يبيع «برج إيفل» مرتين لتجار الخردة فى باريس، وأسلوبه الساخر فى الإحتيال يفجر الضحك ويثير النكات فى أوساط البوليس والقضاء"

بعض المجرمين يمارسون الجريمة ليس فقط من أجل الحصول على المال بل أيضا لإرضاء نزعات وميول فى داخلهم تجعل جرائمهم أقرب للهواية منها للاحتراف.. وهذا النوع من المجرمين أكثر شيوعا فى عالم النصب والاحتيال حيث يتميز المجرم بدرجة هائلة من الذكاء تتيح له دقة اختيار ضحاياه والقدرة على إيقاعهم فى حبائله..

وفي أحيان كثيرة تكون جريمة النصب أو الاحتيال ذات أبعاد فكاهية ساخرة وقد تتحول إلى نكتة ترددها الأجيال كما حدث فى واقعة بيع الترام الشهيرة فى مصر أو بيع ميدان العتبة الخضراء. وهذه الجرائم الضاحكة، شائعة فى جميع أنحاء العالم، وهى تؤكد أن السذج وذوى القلوب الطيبة هم دائما الصيد الثمين الذى يبحث عنه النصابون والمحتالون فى كل مكان.

فيكتور لاستنج واحد من أشهر المحتالين فى التاريخ.. لم يكن محتالا عاديا يسعى فقط وراء المال مهما كانت الوسيلة بل كان عاشقا للاحتيال يمارسه بأسلوب الفنان الحريص على الإبداع ولذلك كانت جرائمه دائما مبتكرة لم يسبقه إليها أحد.. وكان له طابع مميز لايتخلى عنه أبدا وهو الطابع الساخر الذى يحول جريمة الاحتيال إلى نوع من الكوميديا السوداء التى تثير الضحك بقدر ما تدفع إلى البكاء..

وكان لاستنج يختار ضحاياه بدقة.. ولابد أن يكونوا من الأثرياء الذين جمعوا ثرواتهم دون جهد أو عرق.. ولذلك قارن الكثيرون بين هذا

المحتال وشخصية اللص الظريف التى ابتكرها المؤلف الفرنسى موريس لبلان وأطلق عليها اسم أرسين لوبين..

وكان لاستنج يعيش حياة أصحاب الملايين.. ينفق ببذخ.. يرتدى أفخر الملابس وينزل فى أرقى الفنادق.. وقد أطلق على نفسه اسم «الكونت لاستنج» وصدق الكثيرون أنه ينتمى لطبقة النبلاء الأرستقراط خاصة مع سلوكياته المهذبة ومظهره الأنيق..

وذات يوم من أيام شهر مارس عام ١٩٢٥، كان لاستنج يستلقى على فراشه فى الجناح الخاص الذى يقيم فيه بفندق «الكريون» الراقى فى باريس.. وأخذ يتصفح جريدة فرنسية وقد بدأ الاحساس بالملل يتسلل إليه بعد الإجازة الطويلة التى قضاها فى فرنسا.. وفجأة عادت عيناه إلى خبر قرأه منذ لحظات فى الجريدة.. وبرقت فى ذهنه فكرة وكأنها فلاش كاميرا التقط صورة كاملة لجريمة احتيال جديدة لم يسبق لها مثيل.

كان الخبر الذى قرأه لاستنج يقول إن برج إيفل أشهر معالم فرنسا فى حاجة للتجديد والترميم بعد أن تدهورت حالته ووصلت إلى درجة جعلت البعض يطالبون بإزالته تماما وهدمه وتسويته بسطح الأرض!!

وخلال دقائق قليلة، كانت الخطة قد اختمرت فى ذهن فيكتور لاستنج الذى كان عبقريا فى الاحتيال لدرجة جعلته يضع خلال هذه الدقائق القليلة تفاصيل واحدة من أكبر عمليات النصب والاحتيال فى القرن العشرين.

كانت بداية خطة المحتال الداهية هى الحصول على بعض الأوراق

المطبوعة التى تستخدمها وزارة البريد الفرنسية فى مراسلاتها.. وكانت وزارة البريد فى ذلك الحين هى المسئولة عن صيانة برج إيفل. ووجه لاستنج الدعوة إلى خمسة من أكبر المقاولين ورجال الأعمال لمقابلته فى جناحه الخاص بفندق «الكريون» على أن تكون هذه المقابلة سرية..

وعندما وصلوا، كان فى استقبالهم شخص يدعى روبرت توربيون وهو الذراع اليمنى لفيكتور لاستنج فى عمليات الاحتيال.. وقدم نفسه لرجال الأعمال باعتباره السكرتير الخاص للكونت لاستنج.

وقبل اللقاء مباشرة، طلب توربيون من المقاولين الخمسة أن يقسموا على عدم ذكر حرف من الأسرار الخطيرة التى سيسمعونها.. ثم تحدث اليهم لاستنج بصوت يكاد يشبه الهمس وأفضى اليهم بالسر الخطير قائلا: «أيها السادة.. إن برج إيفل فى حالة خطيرة وربما يتم هدمه تماما..».

ووسط دهشة المقاولين الخمسة استمر لاستنج قائلا: «ولاشك أنكم تدركون حجم الصدمة التى ستصيب الرأى العام الفرنسى من جراء هدم هذا الأثر والرمز الوطنى المحبوب ولذلك فقد قررت حكومة فرنسا أن تتم كل الاتفاقات الخاصة بهدم البرج فى إطار من السرية الكاملة حتى يمكن اختيار الوقت المناسب لإعلان ذلك على الرأى العام. وقد كان هو السبب فى اختيار خمسة من كبار المقاولين وتجار الخردة المحترمين الذين يحظون بثقة الحكومة من أجل إبلاغهم بهذا السر الخطير».

وطلب لاستنج من المقاولين الخمسة التقدم بعطاءاتهم فى أظرف مغلقة لشراء الحديد الخردة الذى سينتج عن هدم برج إيفل ويقدر وزنه بحوالى

سبعة الاف طن، ووافق المقاولون الخمسة على التقدم بالعطاءات وانصرفوا لإعداد أنفسهم وتحديد المبالغ التى يرى كل منهم أن الصفقة تستحقها.

لم يكن لاستنج بحاجة لانتظار وصول المظاريف حتى يعرف اسم المقاول الذى سيرسو عليه العطاء.. فخبرته الهائلة بالبشر جعلت اختياره يقع على أكثرهم سذاجة وهو تاجر خردة من أثرياء الحرب يدعى أندريه بواسون كان يحاول بشتى السبل أن يجد لنفسه مكانا فى عالم رجال الأعمال بباريس دون أن تكون لديه خبرة حقيقية، وعندما وصلت عروض المقاولين الخمسة إلى لاستنج بعد حوالى أسبوع اختار المظروف الخاص بتاجر الخردة بواسون وألقى بالمظاريف الأربعة الأخرى دون حتى أن يفتحها. وتم توجيه الدعوة لبواسون لكى يلتقى بالكونت لاستنج فى الفندق لسماع أنباء سارة.

وبمجرد وصول المقاول الساذج إلى الفندق استقبله مساعد لاستنج المدعو توربيون وطلب منه ضرورة تقديم مبلغ كرشوة حتى يرسو العطاء عليه وبالفعل، وافق المقاول دون تردد على دفع مبلغ الرشوة المطلوب وهو يكاد يطير من الفرح لأنه سيخطف هذه الصفقة من كبار المقاولين الفرنسيين.

وقال المقاول لنفسه: «ماداموا طلبوا رشوة فلابد أن يكونوا من موظفى الحكومة».. وكان هذا بالتحديد هو ما يريد المحتال لاستنج أن يزرعه فى رأس تاجر الخردة الأحمق حتى تكتمل الخطة حتى نهايتها.

وبعد أن دفع تاجر الخردة الرشوة المطلوبة.. قام بدفع ثمن الصفقة

كاملا من تأمين ضخم يسترده بعد أن ينتهى من هدم ورفع أنقاض برج إيفل.

وحصل مقابل ذلك على خطاب رسمى كتبه المحتال لاستنج على الورق الخاص بوزارة البريد الفرنسية ويتضمن هذا الخطاب عقد بيع ٧ الاف طن من الحديد الخردة المتخلف عن هدم برج إيفل إلى المقاول بواسون. وغنى عن القول أن هذه الورقة لم تكن تساوى أى شىء..

وفى اليوم التالى، غادر المحتال لاستنج ومساعده توربيون فرنسا حيث ظلا فى الخارج حتى اطمئنا تماما إلى انتهاء الضجة التى توقعا أن تنفجر بسبب جريمة الاحتيال على تاجر الخردة الساذج.. ولكن الغريب أن بواسون أحس بالخزى والعار من الاعتراف بأنه اشترى برج إيفل فلم يتقدم بأى بلاغ رسمى إلى الشرطة الفرنسية واكتفى بتكليف بعض المخبرين السريين بالبحث عن الكونت لاستنج المزيف..

وبعد حوالى عامين، أحس لاستنج أن الأمور هدأت فى باريس فعاد مع مساعده ليرتكب جريمة أخرى أكثر جرأة وأشد صفاقة من الجريمة الأولى وهى محاولة بيع برج إيفل للمرة الثانية!! واختار لاستنج أيضا تاجر خردة ليبيع له البرج بنفس الطريقة تطبيقا لأسلوبه الساخر فى الاحتيال.. والغريب أن لاستنج نجح للمرة الثانية فى بيع برج إيفل ولكن الضحية فى هذه المرة لم يخجل من التوجه إلى الشرطة والإبلاغ عن الواقعة. وعندما توجه رجال البوليس للقبض على المحتال ورفيقه كانا قد هربا وأفلتا من العدالة.

وبالنسبة لمحتال مثل فيكتور لاستنج فإن بيع برج إيفل

مرتين يحقق له سعادة ربما تكون أكبر من المال الذى يحصل عليه بالاحتيال.. فهو يمارس النصب والاحتيال وكأنه فنان مبدع، وقد ولد لاستنج فى تشيكوسلوفاكيا عام ١٨٩٠ وانتشر فى معظم بلدان أوروبا حيث استخدم ٢٢ اسما مستعارا واعتقل ٤٥ مرة.

وقد استغل هذا المحتال الرغبة فى الإثراء التى اجتاحت الجميع خلال العشرينات لكى يصطاد ضحاياه من بين الأكثر طمعا وجشعا والذين يسعون لانتهاز الفرص بصرف النظر عن الوسيلة التى تتيح لهم تحقيق الثروة.

وكانت السمة الأساسية لأسلوب لاستنج فى الاحتيال هى الإصغاء والصمت فلم يكن يثرثر كثيرا بل كان يترك ضحيته تتحدث وتتحدث وتكشف له الثغرات التى يحتاجها لإلقاء شباكه حولها بينما يكتفى هو بالصمت وإبداء الإعجاب بل والانبهار بذكاء الضحية!!

وكان لاستنج يحب أن يعرف آراء الضحية من الناحية السياسية وقناعاته الدينية ولم يكن يتردد فى إبداء السذاجة أثناء الحديث عن مختلف القضايا والموضوعات حتى يصل النقاش فى النهاية إلى النقطة الأساسية والمحورية وهى المال.

وذات يوم التقى فيكتور لاستنج بمليونير يدعى هربرت لولر كان لديه من الأموال ما يكفيه لمئات السنين ولكنه لم يكن قانعا بذلك وكان يطمع فى زيادة هذه الأموال أكثر وأكثر.. وكانت فكرة لاستنج فى الاحتيال على هذا المليونير بسيطة بل وساذجة فقد عرض عليه أن يبيع له ماكينة تقوم

بمضاعفة أوراق البنكنوت عند وضعها فيها.. وحصل لاستنج من هذا المليونير الجشع على ٢٥ ألف دولار ثمنا لهذه الماكينة الوهمية. وعندما اكتشف المليونير الخدعة التى سقط فيها كان لاستنج قد هرب إلى مدينة أخرى ليعيش باسم جديد ويمارس المزيد من عمليات الاحتيال.

وخلال فترة ازدهار جرائم العصابات وتحقيق زعماء الجريمة لأرباح هائلة، لم يتورع فيكتور لاستنج عن محاولة النصب على رجل العصابات الشهير فى شيكاغو آل كابونى حيث اتصل به وأقنعه بقدرته على أن يضاعف له ثروته عن طريق مضاربات مالية فى وول ستريت خلال شهرين وبالفعل حصل لاستنج من آل كابونى على ٥٠ ألف دولار ولكنه أعاد المبلغ كاملا بعد فترة عندما اكتشف كابونى الخدعة وبعث إليه برجاله ليلقنوه درسا.. والغريب أن آل كابونى أعجب بأسلوب لاستنج فى الاحتيال وعدم تردده فى النصب على زعيم أكبر عصابة فى شيكاغو ولذلك قرر كابونى العفو عنه بل ومنحه مكافأة قدرها ٥ الاف دولار!! والأكثر من ذلك أن لاستنج انضم بعد ذلك لعصابة آل كابونى واستمر يعمل معهم عدة سنوات.. وتمكن المحتال الخطير من دفع العصابة لاقتحام مجالات بعيدة عن تخصصها فى عالم الجريمة مثل التزييف.

وفى عام ١٩٣٤ تم تشكيل فريق خاص من العملاء الفيدراليين لاعتقال فيكتور لاستنج وأحد زملائه من عصابة آل كابونى ويدعى ويليام واتسى بتهمة تزييف الورقة فئة مائة دولار بمعدل رهيب وصل إلى تزييف ١٠٠ ألف دولار كل شهر وبعد مراقبة تليفونات لاستنج وزميله عدة شهور، اعتقد العملاء الفيدراليون انهم حصلوا على الأدلة الكافية لإدانتهما وبالفعل تم اعتقال الاثنين..

ورغم أن لاستنج عرض أن يكشف عن أماكن معدات وأدوات التزييف التى يستخدمها إذا تم إطلاق سراحه إلا أن السلطات رفضت هذا العرض وألقت به فى سجن تومبس بنيويورك. ولم يستمر لاستنج داخل السجن طويلا.

فذات صباح اكتشف الحراس أن زنزانته خاوية لايوجد أحد بداخلها كما لاحظوا أيضا اختفاء أغطية الفراش التى عثروا عليها بعد ذلك مدلاة من النافذة التى هرب منها المحتال الخطير.

ولاشك أن جرائم الاحتيال التى ارتكبها فيكتور لاستنج مازالت تدرس فى معاهد الشرطة حتى اليوم بالعديد من دول العالم.

فبعد هروبه من السجن هرب إلى مدينة بتسبرج حيث انتحل الشخصية رقم ٢٣ فى حياته وهى شخصية المستر روبرت ميلر العجوز المتقاعد ولكن الحظ تخلى عنه هذه المرة فقد تعرف عليه بعض الجيران وأبلغوا الشرطة التى ألقت القبض عليه للمرة رقم ٤٧ وأعيد إلى السجن تمهيدا لتقديمه للمحاكمة حيث كانت النتيجة أسوأ مما توقعه لاستنج.. فى شهر ديسمبر عام ١٩٤٥، أعلنت المحكمة أنه مذنب فى تهمة تزييف وترويج ١٣٤ ألف دولار وصدر الحكم عليه بالسجن لمدة ٢٠ عاما على أن يقضى السنوات العشر الأولى منها فى السجن الرهيب الذى لايمكن الهروب منه بجزيرة «الكاتراز» وفى السجن، أطلق عليه رفاقه المجرمون لقب «ملك المحتالين».. وقضى لاستنج ١١ عاما من العقوبة ثم توفى بسجن سبر نجفيلد فى ولاية ميسورى فى مارس عام ١٩٤٧.

أما روبرت آرثر توربيون مساعد فيكتور لاستنج وذراعه اليمنى والذى لعب دور السكرتير فى قضية بيع برج إيفل، فقد كان لايقل دهاء عن زعيمه لاستنج، وقد عرف توربيون لدى البوليس باسم «دابر دان كولنز». وقد ولد عام ١٨٨٥ وكان أول عمل يشتغل به هو ترويض الأسود فى سيرك فرنسى وكانت النمرة التى يقدمها فى السيرك بعنوان «دائرة الموت» وكان يقوم خلالها بركوب دراجة والدوران بها حول مجموعة من الأسود المفترسة.

لم يكن توربيون يميل لحياة السيرك ولذلك انتهز أول فرصة ليهرب منها إلى عالم الجريمة. وعندما بلغ الثالثة والعشرين من عمره هاجر إلى الولايات المتحدة.. ودخل السجن لأول مرة وعمره ٣١ عاما بتهمة التورط فى أنشطة البغاء والرقيق الأبيض. وقد خرج من السجن بعد ٤ سنوات بعد أن اتخذ قراره وراء القضبان بأن يتخصص فى فرع واحد من الجريمة هو النصب والاحتيال.

حتى ذلك الحين كان توربيون معروفا فى أوساط المجرمين باسم «الفأر» ولكنه قرر تغيير هذا الاسم إلى دابر دان كولنز واشترى لنفسه ملابس أنيقة من نيويورك ثم أبحر عائدا إلى أرض الوطن.. فرنسا.

وقد عاش عدة سنوات فى باريس.. وكان يكسب المال عن طريق الدخول فى علاقات مع عجائز النساء ذوات الثراء اللاتى يحلمن بمغامرة مع شاب يشبه كازانوفا..

وفى عام ١٩٢٥ اشترك مع فيكتور لاستنج فى عملية بيع برج إيفل واكتسب على أثرها شهرة كبيرة فى عالم الجريمة.

ونتيجة لسوء الحظ وحده وصل إلى نهاية الطريق. فقد التقى مصادفة باثنين من مفتشى الشرطة الأمريكيين اللذين كانا فى مهمة عمل بفرنسا لاعتقال مجرم آخر. وقد ألقى المفتشان القبض عليه وأعاداه إلى نيويورك على متن السفينة العملاقة «فرنسا» لمحاكمته فى اتهام بالسرقة.

والغريب أنه بعد وصول السفينة إلى نيويورك وتقديم توربيون للمحاكمة، صدر الحكم بالبراءة لعدم كافية أدلة الإثبات هذه.. وتم إطلاق سراحه..

ولم يستمر توربيون حرا لفترة طويلة.. ففى عام ١٩٢٩ اتهم بالاحتيال على فلاح من نيوجيرسى حيث استولى منه على مدخراته التى بلغت قيمتها ٣٠ الف دولار.. وصدر الحكم بسجنه لمدة عامين.

وظل توربيون فى السجن لمدة ١٦ شهراً خرج بعدها وقد عقد العزم على العودة إلى فرنسا.. ولا يعرف مخلوق، ماذا فعل توربيون بعد ذلك: فقد كانت اخر مرة شوهد فيها هى لحظة خروجه من السجن وإدلائه بتصريحات للصحفيين يؤكد فيها انه لن يعيش فى أمريكا.. وبعد ذلك اختفى تماما.. وكأنه تبخر ولم يكن له وجود.

② ملك النصب... يحول التراب إلى ذهب!!

❝ هو أول محتال فى العالم ابتكر أسلوب توظيف الأموال، وعندما عاش ضحاياه الحلم، استيقظوا على الكارثة، التى جعلتهم موضع سخرية الجميع!! ❞

● يحلم كل البسطاء بالانتقال خطوة إلى الأمام على درب الحياة الأفضل.. ولأن امكانياتهم تكون غالبا بسيطة مثلهم فإن الحلم يظل فى العادة أسيرا داخل منطقة الأمانى والأمنيات حتى تلوح فى الأفق فرصة قد تكون فى واقع الأمر مجرد سراب، فيندفع هؤلاء اليها بكل لهفة المحروم وغفلته.. وهنا تبدأ المأساة..

وغالبية المحتالين والنصابين يستغلون لهفة الحلم لدى البعض ونزعة الطمع والجشع لدى البعض الآخر لكى يرتكبوا جرائمهم.. وقد اثبتت عشرات القضايا فى مختلف انحاء العالم ان الاحتيال باسلوب شركات توظيف الأموال يتم اعتمادا على المتمين لفئتى البسطاء والجشعين.

وقد ثبت ان أول محتال ابتكر اسلوب شركات توظيف الأموال هو الانجليزى بلفور فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر.. ثم ظهر فى العالم بعد ذلك المئات وربما الألوف من تلاميذ النصاب الانجليزى العريق.

ولاشك ان قضية شركات الريان لتوظيف الأموال فى مصر كانت مجرد تكرار لقصة النصاب الانجليزى بلفور.. ولايحتاج المرء سوى لمجرد تغيير الأسماء والتواريخ حتى يتأكد ان بلفور والريان وجهان لعملة واحدة دفع ثمنها عشرات الألوف من الضحايا..

بدأ جابز سبنسر بلفور حياته من الصفر وانتهى إلى الصفر.. ولكن خلال المسافة بين الصفرين، حقق الكثير والكثير.. جمع الأموال بالملايين. صعد إلى أعلى مراتب السلطة التف حوله الكثيرون لتحقيق طموحات وأطماع غير مشروعة..

ولكن النهاية الحتمية كانت هى السقوط المروع لهذا العالم الوهمى الذى شيده جابز بلفور والذى بلغ من الضخامة حجما رهيبا ولكنه كان كبيوت النمل.. بها من الخواء والفراغ أكثر مما بها من مواد البناء وعوامل البقاء..

فى نهاية العصر الفيكتورى بانجلترا، بالتحديد فى عام ١٨٦٨، بدأ نجم جابز سبنسر بلفور يبزغ.. **وخلال فترة قصيرة، أصبح هو أشهر شخصية فى عصره وحقق درجة هائلة من الثراء وأصبح عمدة لضاحية «كرويدون» قرب لندن وعضوا بالبرلمان عن دائرة بيرنلى فى مقاطعة لانكشير.. وأصبح على وشك تولى أحد المناصب الوزارية عندما بدأت امبراطوريته فى الانهيار واضطر للهروب إلى خارج انجلترا..**

ويقول خبراء التاريخ الجنائى ان جابز سبنسر بلفور هو مبتكر الاسلوب المعروف باسم «كرة الثلج» فى استثمار أو توظيف الأموال وهو اسلوب تقوم خلاله احدى الشركات بتمويل شركة أخرى ثم ثالثة ورابعة وهكذا.. ويؤدى ذلك إلى تضخم النشاط التجارى أو المالى للشركة بنفس الطريقة التى تتضخم بها كرة الثلج عند تدحرجها من أعلى الجبل إلى أسفل.

وقد بدأ سبنسر بلفور نشاطه بتأسيس جمعية لبناء المساكن وحصلت هذه الجمعية على أموال الباحثين عن مسكن ثم استغلت هذه الأموال خلال سنوات قليلة فى تأسيس شركات أخرى مثل شركة بناء الأراضى وشركة بناء الشاليهات والمنتجعات وشركة الاستثمارات العقارية.. الخ..

وفى عام ١٨٨٢، قام بانشاء «بنك جنرال» فى لندن بهدف تسهيل المعاملات المالية بين شركاته والمساهمين فيها.

كان الاسلوب البسيط الذى ابتكره جابز سبنسر بلفور للاحتيال هو أن تقوم شركاته ببيع وشراء الأراضى والعقارات لبعضها البعض وبشكل يحقق لبلفور وحده نسبة هائلة من الأرباح التى يدفع ثمنها المساهمون البسطاء..

وقد كان الطعم الذى اصطاد به بلفور ضحاياه هو معدل الفائدة المرتفع الذى يقدمه لهم والذى كان يزيد كثيرا عن الفوائد التى تقدمها الشركات الاستثمارية والمؤسسات المالية الأخرى..

وإلى جانب ذلك، كان بلفور حريصا على انفاق مبالغ هائلة على الدعاية كما ساهمت شركاته فى العديد من المشروعات الخيرية بهدف اضفاء طابع أخلاقى عليها وكسب ثقة المستثمرين والمساهمين بأموالهم فى هذه الشركات.

وقد أدرك هذا المحتال الداهية أهمية شراء بعض معدومى الضمائر فى مواقع السلطة المختلفة فكان يقوم بدفع رشاوى بشكل منتظم لعدد كبير من المسئولين فى مختلف المواقع وحرص أيضا على استخدام الشخصيات المعروفة باتصالاتها الواسعة فى وظائف استشارية للتغطية على أنشطته المشبوهة وضمان تسهيل أعماله غيرالقانونية.. كان صغار المساهمين يثقون فى بلفور ثقة عمياء فقد خدعهم ذلك الوقار الزائف الذى يعكسه مظهره.. وكان هو من جانبه حريصا للغاية ألا تشوب هذه الثقة أى شائبة مهما كانت بسيطة..

كان يصرف للمودعين والمساهمين فى شركاته الفوائد فى مواعيد شديدة الانتظام رغم أن أموال هذه الفوائد كان يتم الحصول عليها من أصول ايداعات الآخرين..

ونتيجة لذلك، كان مجرد الاعلان عن تأسيس شركة جديدة تابعة لامبراطورية بلفور كفيلا باثارة العواصف فى أسواق الاستثمار ببريطانيا حيث كان الجميع يندفعون لاستثمار أموالهم فى الشركة الجديدة بصرف النظر عن النشاط الذى تعمل فيه أو احتمالات نجاحها..

كان كل ما يسيطر على الأذهان هو أن بلفور رجل يتحول التراب فى يديه إلى ذهب وسعيد الحظ هو من يودع أموال لديه ويشارك فى الحصول على نصيب من هذا الذهب.. ولكن ما لم يعرفه الجميع، فى ذلك الحين، هو أن شركات بلفو لاتحقق أى أرباح وان الايداعات والاستثمارات الجديدة هى وحدها التى تتيح لهم الحصول على فوائد أموالهم لديه.

وبمرور الوقت، تضخمت امبراطورية بلفور الوهمية وتعقدت تعاملاته واستثماراته فى داخل بريطانيا وخارجها بشكل أصبح من الصعب للغاية على أى جهة رقابية متابعته أو التأكد من الأوضاع الحقيقية لهذه الامبراطورية التى تضخم عدد المساهمين ومن سعوا إلى توظيف أموالهم فيها ليصل إلى الملايين.

وعلى الصعيد الشخصى،عاش جابز سبنسر بلفور حياة من الترف والرفاهية وكأنه امبراطور حقيقى.. فقد امتلك القصور والضيعات واقتنى من المجوهرات والتحف ما يقدر بثروات.. كل ذلك من أموال الضحايا البسطاء الذين منحوه ثقتهم..

وقد تجلت عبقرية هذا المحتال الداهية فى قدرته الاسطورية على إدارة امبراطوريته مترامية الاطراف.. والغريب انه استطاع ان يخدع بعض العاملين الشرفاء فى هذه الامبراطورية من خبراء التجارة والاقتصاد الذين عجزوا عن اكتشاف عمليات النصب والاحتيال التى كان يقوم بها.. ويرجع ذلك إلى حرص بلفور الشديد على ان يطلع كل من يعمل لديه على مجرد جزء محدود للغاية من العمل بحيث لايستطيع الالمام بالصورة كلها.. والى جانب ذلك، استخدم بلفور عددا محدودا من المساعدين الأشرار ومستشارى السوء الذين كانوا على علم تام بأسرار اللعبة كلها ولكنهم كانوا إما موضع ثقته أو من الذين لايمكن أن يخونوه بسبب تورطهم المباشر فى الأنشطة غير القانونية وبدرجة تجعلهم لايقلون عنه اثما واجراما من وجهة نظر العدالة والقانون..

وعلى عكس غيره من المحتالين، لم يكن جابز سبنسر بلفور يسمح بأى فضيحة مهما كانت صغيرة تمس احدى شركاته.. وكان شعاره أن رأسماله الوحيد هو عدم ظهور حتى مجرد شائعة تمس اسمه أو حتى اسم أحد من العاملين معه. لذلك كان حريصا على ان يردد فى كل مناسبة انه تلقى تربية محافظة صارمة منذ نعومة أظافره وانه تربى على الالتزام بالقيم والأخلاق والمثل العليا التى تعد هى سر نجاحه.

وفجأة.. فى عام ١٨٨٢، حدث ما لم يتوقعه أحد حتى بلفور نفسه، فقد انهارت احدى شركاته وتراكمت عليها ديون بلغت قيمتها ثمانية ملايين استرلينى بأسعار ذلك الزمان والتى تمثل رقما هائلا فى الوقت الراهن..

وأصيبت الدوائر المالية بصدمة مروعة ليس فقط بسبب حجم الخسارة

بل لأن هذه الشركة كانت هى احدى شركات الامبراطور الذى لم يعرف فى حياته سوى النجاح وتحقيق الأرباح. وأصابت نفس الصدمة شركات بلفور بل وأصابت أيضا الأمة البريطانية بأسرها..

وكان الشخص الوحيد الذى لم تصبه الدهشة هو جابز سبنسر بلفور نفسه فقد كان يعلم حقيقة أمبراطوريته المالية والتجارية.. بل كان يدرك ان الانهيار حتمى ولكن هدفه هو تأجيل هذا الانهيار لأطول فترة ممكنة.. ولهذا السبب كان الامبراطور المحتال مستعدا لمواجهة الكارثة فى أى وقت.. وبينما كانت السلطات البريطانية تحاول اقتحام امبراطورية بلفور للنصب والاحتيال التى سيطرت على الحياة المالية والتجارية فى بريطانيا لمدة ٢٠ عاما، كان بلفور فى طريقه إلى أمريكا الجنوبية..

هرب المحتال الكبير وترك وراءه ملايين الضحايا من العجائز والنساء واليتامى يدفعون ثمن جرائمه..

اختفى بلفور فى أمريكا الجنوبية لمدة ثلاث سنوات حيث تنكر فى شخصية مختلفة وعاش ينعم بالأموال التى نهبها وغرر بأصحابها.

ولكن لسوء حظه، تعرف عليه أحد البريطانيين عند زيارته لمدينة سالتا فى شيلى.. وعاد هذا الشخص إلى بريطانيا حيث قام بابلاغ السلطات.. وتقدم القنصل البريطانى فى شيلى بطلب إلى الحكومة بتسليم هذا المجرم إلى بريطانيا، وبعد جهود مضنية وافقت السلطات الشيلية وتم تسليم بلفور إلى بلاده حيث قدم لمحكمة الجنايات «أولد بيلى» بتهمة النصب والاحتيال.

وتقدم المحامون عن الضحايا للمطالبة بحقوق موكليهم وتكدست

الاف الأوراق والمستندات فى أروقة المحكمة وكلها تتضمن تفاصيل الجرائم التى ارتكبها بلفور وتؤكد ادانته..

ولم يتطلب الأمر وقتا طويلا لكى يتوصل المحلفون إلى قرار بالاجماع بؤكد ان المتهم مذنب.. وطوال المحكمة، لم تظهر على المحتال أى اشارة تشير إلى شعوره بالندم، بل كان على قدر هائل من الصفاقة والوقاحة التى جعلته يردد انه «الضحية الحقيقية» وأن شركاته كانت قادرة على تجاوز أزمتها وتحقيق النجاح لو أتيحت لها فرصة مواصلة العمل!!

وصدر حكم المحكمة بسجن جابز سبنسر بلفور لمدة ١٤ سنة.. وفى نهاية الحكم، وجه القاضى حديثه للمجرم قائلا: «أن صرخات ضحاياك من الأرامل والأيتام الذين دمرت حياتهم ستظل تدوى وتستمطر عليك لعنة السماء» ومن الغريب ان بلفور قضى معظم سنوات سجنه وهو يؤكد للجميع انه سيبدأ مشروعاته التجارية مرة أخرى بعد خروجه من السجن.. ولكنه مات بأزمة قلبية قبل ان يستعيد حديثه ويدمر حياة المزيد من الضحايا السذج.. والبلهاء الذين يصدقون مزاعم المحتالين وتخدعهم المظاهر الكاذبة التى تحيط دائما بالنصابين.

٣ زعماء ولكن.. نصابون ومحتالون!!

" استغل مهارته الفائقة فى النصب ليستولى على الملايين، وينفقها على عشيقاته، والعجيب انه تحول بحصيلة عملياته المشبوهة إلى سياسى بارز، وعضو فى البرلمان. "

● فى جرائم النصب والاحتيال، يحاول المجرم الظهور بمظهر الانسان الجدير بالثقة والاحترام ولذلك فإن معدات الجريمة التى يستخدمها تكون عادة هى الملابس الفاخرة واللغة الراقية والسلوك النبيل.. وتؤدى هذه الادوات إلى سقوط الضحية فى الفخ بسهولة وعندما تكتشف الحقيقة يكون ذلك بعد فوات الأوان.

واخطر النصابين والمحتالين هم الذين لايحتاجون لادوات الاحتيال التى يخدعون بها الضحايا لسبب بسيط هو انهم بالفعل ينتمون إلى الطبقة الراقية ويمارسون حياتهم من مواقع مهمة بعيدة عن الشبهات ولديهم حقيقة كل المؤهلات التى تتيح لهم التأثير على الاخرين دون افتعال أو تمثيل.

والسياسى البريطانى هوراشيو بوتوملى احد النماذج شديدة الوضوح لهذه النوعية من المحتالين فقد عاش حياته كلها يستولى على ممتلكات الاخرين وينهب اموال الفقراء والمساكين.. ويمتص دماء العمال والفلاحين.. ورغم ذلك ظل حتى نهاية حياته يزعم انه كان «الرجل النظيف» الذى وهب حياته للوطن وقدم عمره من اجل أن يحول البسطاء إلى اصحاب ملايين!!

كانت لدى هوراشيو بوتو ملى موهبة لايباريه فيها احد وهى حلاوة اللسان والقدرة الخرافية على اكتساب ثقة

الاخرين واقتناعهم بأى شىء.. واستثمر هوراشيو هذه الموهبة بعد أن حصرها فى محاولة اقناع الاخرين له عن طيب خاطر.. وبعد ذلك كان بوسعه الخروج (كالشعرة من العجين) من أى مشكلة قد تواجهه..

ولد هوراشيو فى لندن بمنطقة إيست اند عام ١٨٦٠ ولكنه وصل فى النهاية إلى عضوية البرلمان واصبح ايضا واحدا من اشهر المحتالين فى تاريخ الجريمة بالعالم.

ومنذ البداية، كان هوراشيو يعرف جيدا مايريده.. المال.. الشهرة النساء.. والسلطة حيث كان عاشقا للسياسة ولديه كل المؤهلات التى تساعده على العمل والنجاح فيها..

عمل فى البداية كوكيل محام ثم كموظف فى احدى محاكم لندن مهمته تسجيل الجلسات بطريق الاختزال.. وبعد فترة أدرك ان الوصول إلى تحقيق أهدافه بالطرق المشروعة يحتاج لسنوات ربما يتجاوز عددها عمره كله. وكان قراره المباشر والصريح هو الا ينتظر كل هذه السنوات وان يسعى للحصول على اكبر قدر ممكن من المال خلال أسرع فترة ممكنة وبأى وسيلة حتى ولو كانت هذه الوسيلة هى الجريمة.

ودون ادنى تردد، اندفع هوراشيو إلى البدء فى تنفيذ خطته. فاشترك مع بعض اصدقائه فى تأسيس دار للنشر واستغل اسم صديق اخر فى شراء بعض العقارات والممتلكات بينها مطبعة فى منطقة (ديفون) كان ثمن هذه الممتلكات على الورق طبعا ٢٠٠ الف استرلينى ولكنه بعد فترة قصيرة باعها لدار النشر التى يمتلكها مع اصدقائه بمبلغ ٣٢٥ الف استرلينى

وكانت المشكلة ان معظم هذه لم تكن لها أى قيمة حقيقية، وقد خدع هوارشيو شركاءه وأوهمهم انها صفقة رابحة ولكنهم اكتشفوا بعد فترة انهم وقعوا ضحية عملية نصب وأن الاموال التى دفعوها لهورايشو قد ذهبت مع الريح.. وتقدم الشركاء بشكوى ضد المحتال الذى قدم إلى المحاكمة بتهمة النصب والاحتيال.. وخلال جلسات المحاكمة، وقف هوراشيو امام القضاة يتحدث بلباقة واقتدار عن الخسائر التى لحقت به وباسمه وكيف انه ايضا كان ضحية لعملية نصب وانه يتعامل مع كل الناس على انهم شرفاء ولم يتوقع ابدا كل هذه الخسائر التى لحقت بدار النشر والشركاء الذين يمتلكونها.. وبلغت مقدرة هوراشيو على اقناع المحكمة ببراءته درجة ان القاضى طلب منه ان يبحث لنفسه عن وسيلة للعمل فى مهنة المحاماة بعد ان عرض قضيته ببراعة واستطاع ان ينفذ من ثغرات قانونية لايعرفها سوى عتاة المحامين.

والغريب ان هذا المحتال الخطير خرج من هذه القضية فى صورة الحمل الوديع امام الرأى العام بل تزايدت ثقة الاخرين فى كلماته المعسولة ونظراته الناعمة وكسب تعاطف الجميع بما فى ذلك ضحاياه الذين خسروا كل مايملكونه ولكنهم اقتنعوا ببراءته فى النهاية..

وهكذا، لم يكن من الغريب ان ينطلق هوراشيو فى عالم المال والاعمال واطلق على نفسه لقب «الرجل النظيف» وأسس عدة شركات لتوظيف واستثمار الاموال وتدفق الألوف على مشروعات هوراشيو التى تدر اكبر عائد من الارباح فى السوق.

وفى عام ١٨٩٧، اتجه هوراشيو إلى استثمار اموال المودعين فى مناجم الذهب باستراليا وتمكن من تحقيق ثروة لابأس بها ورغم ذلك كانت شركاته تفلس الواحدة وراء الاخرى لانه كان يحتفظ بالارباح لنفسه فقط.

وكانت طريقة النصب والاحتيال التى لجأ اليها هوراشيو بسيطة للغاية.. فقد كان يقوم بتأسيس شركة ويعلن عن نسبة ارباح خرافية لكل سهم فى هذه الشركة ونتيجة لذلك ترتفع اسعار اسهمها بشكل جنونى فيقوم ببيع عدد هائل من الاسهم بالاسعار المتضخمة التى لاتعبر عن واقع الشركة.

ويعد فترة قصيرة من العمل تبدأ هذه الشركة فى الغرق والانهيار.. وهناك يقوم بتأسيس شركة اخرى تعلن استعدادها لشراء جميع اسهم الشركة المنهارة باسعار بخسة لايمكن مقارنتها بالاسعار المرتفعة التى دفعها المساهمون.. اما الفارق بين السعرين فكان يذهب بكل تأكيد إلى هوراشيو الذى ينجح فى اقناع غالب المستثمرين بأن سبب خسارتهم الوحيد هو تقلبات الاسواق وان هذه هى التجارة.. مكسب وخسارة..

وقد انتخب هوراشيو بوتوملى لعضوية البرلمان البريطانى عن دائرة (ماكنى هاوث) فى لندن وشارك فى تأسيس صحيفة الفايننانشيال تايمز البريطانية العريقة ومجلة كانت شهيرة فى بريطانيا اسمها جون بول.

ورغم انه كان متزوجا الا انه ارتبط فى علاقات غرامية مع عدد كبير من العشيقات فى معظم مناطق بريطانيا وقد عاش هوراشيو فى منزل بمنطقة «ابر ديكر» بمقاطعة (ساسكس) وكان من اعيان هذه المنطقة ولكن فى عام ١٩١٢، تعرض لانتكاسة كبرى عندما اجبر على تقديم استقالته من البرلمان بسبب فضيحة مالية.

ورغم ذلك، لم يتراجع هوراشيو عن اسلوب النصب والاحتيال الذى ادمنه.. فاستمر فى مشروعاته المالية المشبوهة..

وعندما اشتعلت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ استغل قدراته الخطابية والديماجوجية فى طرح نفسه كواحد من اكبر الوطنيين واشدهم حماسا للدفاع عن الوطن.. واستغل جريدة «جون بول» المعروفة بميولها الوطنية المتطرفة والتى كان يشارك فى ملكيتها كمنبر لنشر افكاره الحماسية والدعوة للمشاركة فى المجهود الحربى لبريطانيا.. وقام هوراشيو بحملات وجولات فى جميع انحاء بريطانيا من اجل اقناع الشباب والرجال بالتطوع للقتال وقد اتضح بعد ذلك انه كان يشارك فى هذه الجولات مقابل اجر رغم انه كان قادرا على اشعال حماس الاخرين للتضحية بارواحهم ودمائهم من اجل الوطن.

وفى عام ١٩١٨. ومع انتهاء الحرب العالمية الاولى، اعيد انتخاب هوراشيو مرة اخرى لعضوية البرلمان البريطانى عن نفس دائرته القديمة.. واحس أن بوسعه استعادة كل مافقده مرة اخرى بل والانطلاق إلى المزيد من الثراء والسلطة والنفوذ. ولكن فى العام التالى لعب هوراشيو بوتوملى مقامرته الكبرى والاخيرة وقام باكبر عملية نصب كانت هى التى حددت مصيره ووضعته فى الموقع الذى يستحقه بكل جدارة..

فقد طرحت الحكومة البريطانية فى ذلك الحين سندات اطلقت عليها اسم (سندات النصر) وكانت قيمة السند الواحد خمسة جنيهات استرلينية ولكن بوسع المستثمرين شراءها بتخفيض وبسعر لايتجاوز ٤

جنيهات استرلينية و١٥ شلنا.. وبالنسبة لعامة البريطانيين فى ذلك الحين كان هذا السعر المخفض يعتبر كبيرا.

وانتهز هوراشيو الفرصة وانشأ ما يسمى بنادى سندات النصر.. وهو مشروع استثمارى يستطيع الناس من خلاله استثمار أى مبلغ مهما كان صغيرا أو كبيرا بينما يقوم النادى بشراء سندات النصر لحساب اعضائه أو مستثمريه.

وانطلقت الصحف تشيد بهوراشيو بوتوملى وتصفه بانه صديق الفقراء والبسطاء وهى الصورة التى كان هوراشيو يعشقها ويحاول دائما الظهور بها امام الاخرين.

ولكن مالم يعرفه المستثمرون فى نادى سندات النصر هو ان هذا الرجل الذى اعتبروه بطلا قد قام بتسريب حوالى ١٥٠ الف جنيه استرلينى (وهو مبلغ هائل باسعار ذلك الزمان) من اموالهم التى بلغ حجمها نصف مليون استرلينى فى نادى سندات النصر خلال ستة شهور فقط!!

وكانت بداية النهاية عندما حاول هوراشيو التصدى بعنف لأحد منتقديه الذى حمله مسئولية هذا الاختلاس وأشار إلى سجله الحافل فى عمليات النصب والاحتيال.. وكان هذا الشخص يدعى روبن بيجلاند وقد طلب من هوراشيو ان يعيد الاموال التى اختلسها إلى نادى سندات النصر.

ويبدو ان المحتال الكبير كان قد نسى حقيقته امام مظاهر الحفاوة والاحترام التى تحيط به فأعلن انه لن يترك هذا الشخص الذى طعنه فى شرفه وسوف يلجأ إلى المحكمة

لمطالبته بتعويض هائل بتهمة السب والقذف فى شخصية رجل وطنى شريف وسياسى مرموق وقبل كل شىء انسان نذر حياته كلها لخدمة الفقراء والبسطاء وعامة الناس!!

وقد خدعت هذه الكلمات الرنانة الكثيرين الذين اندفعوا يهاجمون روبن بيجلاند على تطاوله واتهاماته «للرجل النظيف».. وعبثا حاول روبن ان يؤكد لهم زيف تلك الهالة التى تحيط بهوراشيو ولكنهم كانوا دائما يسدون آذانهم عن الحقيقة التى يرفضون مواجهتها والتى لاتتفق مع قناعاتهم واوهامهم.

ورغم ذلك استطاع روبن بيجلاند اقناع المحكمة بتشكيل لجنة من الخبراء لمراجعة سجلات امبراطورية هوراشيو المالية.

وكشفت التحقيقات عن عشرات المشروعات الخيرية التى اقامها النائب البرلمانى والسياسى الشهير وكان يحصل على التبرعات التى تضل اليها ويحولها لحسابه الخاص.. كما ظهرت حقائق علاقاته غير المشروعة مع عشرات النساء اللاتى كان يغدق عليهن الهدايا والأموال على حساب المودعين التعساء الذين وضعوا ثقتهم فيه.

وأكدت الصحف الصادرة فى ذلك الحين ان ثروة هوراشيو تقدر بالملايين ولكن العثور عليها مستحيل لانه اخفاها بطرق شيطانية سواء من خلال استثمارها باسماء مستعارة فى شركات اخرى حقيقية أو لدى اشخاص مجهولين يعرفهم هو وحده..

وطالبت المحكمة هوراشيو بوتوملى باعادة هذه الاموال من اجل سداد

اموال المودعين التعساء ولكنه رفض بشدة واكد ان شركاته لحقت بها خسائر يتحملها المودعون المساكين.. ووجد هوراشيو فى نفسه من الجرأة أو الصفاقة مايكفى لكى يتهم المحكمة بانها مسئولة عن ضياع اموال المستثمرين الصغار الذين حاول ان يساعدهم بل وعرض على المحكمة اطلاق سراحه والسماح له بالاستمرار فى العمل حتى يتمكن من تعويض هذه الخسائر واعادة اموال المودعين.

وفشل هوراشيو للمرة الأولى فى اقناع المحلفين بوجهة نظره، أحس الجميع بأنه فقد موهبته فى الاقناع وبراعته فى الخداع رغم انه فعل المستحيل حتى يؤثر فى المحكمة والمحلفين والرأى العام لدرجة انه كان يبكى بدموع حقيقية وهو يتحدث عن الخسائر الفادحة التى لحقت بالمودعين الفقراء.

وطلب محامى هوراشيو منح موكله فرصة اخرى واخيرة لكى يصحح ما ارتكبه من اخطاء ولكن المحكمة لفتت انظار الدفاع إلى الفارق الجوهرى بين الاخطاء والخطايا وطلبت منه ان يراجع السجل الحافل لموكله فى عالم الجريمة والنصب والاحتيال. وبعد مداولة لم تتجاوز مدتها ثلاثين دقيقة، اصدرت المحكمة حكمها بسجن هوراشيو بوتوملى لمدة ٧ سنوات مع الشغل. وقد اطلق سراحه بعد اربع سنوات لاسباب صحية.. ورغم تقدمه فى السن واصابته بأمراض عديدة الا انه حاول العودة لممارسة اسلوب حياته القديم ولكن دون جدوى.

وفى عام ١٩٣٣، مات المليونير السابق هوراشيو بوتوملى.. وانتهت

حياة السياسى البارز وزئر النساء ورجل الأعمال الكبير.. ولكن النهاية كانت مختلفة تماما عن كل ماكان المحتال الكبير يحلم به.. قد مات فقيرا.. منبوذا.. وحيدا.. وعثرت السلطات على جثته بعد ايام من وفاته فى حالة تعفن بشعة لايمكن مقارنتها الا بالعفن الذى كان يحيط به فى سنوات المال والشهرة والنفوذ..

٤ وكانت أسلحة المحتال.. المال والسلطة

"وكان كلما نفذ عملية نصب كبرى، طار إلى مكان جديد كى يبدأ حياة نظيفة، ولكنه فى كل مرة كانت أصابعه تخذله، فيعيد الكرة وينصب على البسطاء والسذج من جديد."

● فى أحيان كثيرة يكون هدف المحتال أو النصاب أكبر من مجرد الحصول على المال بطريق غير مشروع.. فهناك بعض المحتالين سقطوا وهم يحاولون الوصول إلى السلطة والنفوذ وكان المال هو مجرد وسيلة لتحقيق الهدف الأكبر.. انه الطموح الذى لايتوقف عند حد ولايعترف بشىء اسمه المستحيل أو الصعب وهو نوع خطير من الطموح يدفع بصاحبه إلى انتهاك القوانين والقواعد والأعراف تحت شعار ان الغاية تبرر الوسيلة.

ومن الأمثلة الشهيرة على هذا النوع المدمر من الطموح، قضية الوزير السابق وعضو البرلمان البريطانى الذى كان يحلم برئاسة الحكومة وزعامة حزب العمال من اجل ان يحصل على المال اللازم لتحقيق هذا الحلم لجأ إلى النصب والاحتيال.. وكانت نهايته هى دخوله السجن وقضاء سنوات من الندم وراء القضبان..

فى احد أيام شهر نوفمبر عام ١٩٧٣، وبينما كانت مسزهيلين فلمنج تمارس عملها فى مكتب فندق فونتنبلو على شاطئ ميامى بولاية فلوريدا الأمريكية، اقترب منها رجل انجليزى وطلب منها بأدب أن تحتفظ لديها بحقيبة ملابسه حتى يقوم بالسباحة لبعض الوقت ثم يعود.. كانت مسزهيلين قد تحدثت مع هذا الشخص فى الفندق قبل عشرة أيام وأخبرها انه وصل إلى فلوريدا لبعض الأعمال وأن حقائب ملابسه قد سرقت منه ولذلك فليس لديه سوى الملابس التى يرتديها.

وكانت مسزهيلين تتذكر جيدا اسم هذا الجنتلمان الانجليزى جون ستونهاوس واسلوبه المهذب فى الحديث إلى السيدات.. لذلك رحبت بمساعدته على الشاطئ..

وتوجه الرجل البالغ من العمر ٤٨ عاما إلى المياه للسباحة تاركا ملابسه مع مسزهيلين ولكنه بعد فترة اختفى تماما.. وترك وراءه زوجة وطفلين وعشيقة ودائرة انتخابية يمثلها فى البرلمان البريطانى.. وايضا عدة شركات على وشك الافلاس وديون بلغت حوالى ٥ ملايين دولار.

وفى الصباح التالى، أبلغ جيمس شارلتون، وهو مدير إحدى شركات ستونهاوس والذى كان معه فى ميامى، الشرطة باختفائه وبدأت حملة كبرى للبحث عن رجل الأعمال وعضو البرلمان البريطانى ولكن لم يعثر له على أثر.. وافترض الجميع أنه غرق أثناء السباحة على شاطىء ميامى، ولكن الحقيقة أن جون ستونهاوس لم يغرق وأن وفاته المزعومة كانت هى الحلقة الأخيرة فى سلسلة طويلة من محاولات الخداع التى قام بها للهروب من ماضيه الحافل بجرائم النصب والاحتيال..

وبينما كان الكثيرون يؤكدون وفاة ستونهاوس، كان رجل الأعمال الإنجليزى يسير على شاطىء ميامى متوجها إلى أحد المبانى المهجورة قرب فندق ميامى بيتش حيث أخفى حقيبة بها ملابس وأموال ومجوهرات وشيكات سياحية وبطاقات ضمان وجواز سفر وكانت كل هذه الأشياء باسم آخر هو جوزيف ماركهام. وبعد أن ارتدى ستونهاوس الملابس، حمل الحقيبة وتوجه بسيارة تاكسى إلى مطار ميامى الدولى حيث استقل

طائرة إلى سان فرانسيسكو وحجز غرفة فى أحد الفنادق باسمه المستعار الجديد.

وبعد أيام غادر جون ستونهاوس أو جوزيف ماركهام سان فرانسيسكو جوا إلى أستراليا، عن طريق هونولو حيث أجرى من هناك مكالمتين تليفونيتين لعشيقته شيلا باكلى التى كانت تقيم فى أحد فنادق لندن.. وتوجه ستونهاوس بعد ذلك إلى سنغافورة لقضاء فترة من المرح واللهو وأخيراً اتجه إلى ملبورن باستراليا والتى اختارها كمقر دائم طوال حياته.

وفى ديسمبر ١٩٧٣، اجتمع شمل رجل الأعمال الإنجليزى الهارب مع عشيقته شيلا احتفلا بنجاح خطة الخداع التى وضعاها معا والتى اعتبراها أعظم خطة من نوعها لأنها ستتيح لهما حياة الثراء بعيدا عن شركات ستونهاوس المفلسة والديون التى تراكمت عليه.

كان جون طومسون ستونهاوس دائما رجلا متغطرسا متكبرا.. لذلك لم يكن له سوى القليل من الاصدقاء، ولكنه رغم ذلك إستطاع أن يشق طريقه في عالم السياسة والأعمال. كان حلم ستونهاوس أن يتولي رئاسة الوزارة، ولكنه انتهي بالسجن . وكان حلمه أيضا أن يتحول إلى مليونير ولكنه انتهي بالافلاس والديون.. ومع انهيار هذه الأحلام، لم يستسلم ستونهاوس بل قرر أن يسير في طريق الاحتيال والخداع إلى النهاية.

دخل جون ستونهاوس مجلس العموم البريطانى (البرلمان) كنائب عن حزب العمال فى عام ١٩٥٧.. وتولى العديد من المناصب الوزارية بما فى

ذلك منصب وزير البريد. ولكن عندما سقطت حكومة حزب العمال فى عام ١٩٧٠ عرضت عليه مناصب أصغر فى حكومة الظل فرفضها وقرر أن يستغل اتصالاته السياسية للدخول إلى عالم التجارة والأعمال والوصول إلى الملايين. وقال ستونهاوس لزوجته الجميلة بربارة أن تحقيق الثراء سيساعده على العودة بقوة إلى عالم السياسة وأنه يعتزم القيام بمحاولة للوصول إلى زعامة حزب العمال البريطانى.

كان ستونهاوس واثقا من قدرته على تحقيق كل هذه الطموحات الكبيرة فى أسرع وقت ممكن. ولذلك قام بتأسيس ٢٠ شركة خلال خمس سنوات من بينها أحد البنوك التجارية.. ولكن بعد فترة قصيرة بدأت هذه الشركات تواجه المتاعب..ولم تستمر امبراطوريته التجارية إلا لفترة قصيرة بسبب الطريقة التى اتبعها فى نقل رؤوس الأموال من شركة لأخرى.. فعندما كانت جهات الرقابة والمحاسبة الرسمية تقوم بالتفتيش على إحدى شركاته. كان ينقل إليها رؤوس أموال الشركات الأخرى التابعة له على الورق بحيث يتأكد المراجعون والمفتشون من سلامة الموقف المالى لهذه الشركة.

ولم يكن هناك شك فى أن هذا الوضع كان من المستحيل استمراره.. واستمر تكدس الديون حتى وصلت فى النهاية إلى ٥ ملايين دولار تقريبا.. وبدأت البنوك تطارده لسداد هذه الديون.

وبحلول عام ١٩٧٢، أدرك ستونهاوس أن وزارة التجارة البريطانية تعتزم التحقيق معه وأنها ستعلن كذبه وخداعه على الملأ مما سيؤدى إلى انهيار شركاته وتدمير وضعه المالى والقضاء على سمعته وربما أيضاً تقديمه إلى المحاكمة بتهمة النصب والاحتيال.

ووسط هذه المحنة، لم يجد ستونهاوس حليفا سوى عشيقته مسز شيلا باكلى التى كانت أصغر منه بعشرين عاما..

وقد بدأت علاقة شيلا بستونهاوس كسكرتيرة له عندما تولى منصب وزير الدولة لشئون التكنولوجيا. كانت شيلا ساحرة الجمال.. ذات شعر أسود وعيون لامعة ذات بريق أخاذ.. وكانت أيضا ذات شعبية كبيرة فى الأوساط البرلمانية..

وقد انفصلت شيلا عن زوجها قبل سنوات من عملها مع ستونهاوس الذى وضعت عينيها عليه وسرعان ما وقع فى حبائلها واستأجر لها شقة خاصة وكانت تدلله باسم (دوم دوم).

وقد طلقت شيلا رسميا من زوجها فى عام ١٩٧٣ بعد ان تمكنت من اثبات جريمة الزنا على زوجها. وبدأت شيلا وعشيقها ستونهاوس تنفيذ خطة الهروب من الكارثة التى تنتظره.. وكانت الخطوة الأولى هى تهريب نصف مليون دولار الى حسابات سرية فى بنوك سويسرا واستراليا واستخدام هذا المبلغ فى بدء حياة جديدة معا بشخصية جديدة فى نيوزيلندا..

إما الخطوة الثانية فكانت تتطلب أن يموت جون ستونهاوس أو بمعنى أصح أن يقنع أو يوهم الآخرين بموته. لذلك كان من الضرورى البحث عن شخص أخر يكون قد مات بالفعل حتى ينتحل ستونهاوس شخصيته.. وكان هذا الشخص هو جوزيف ماركهام.

وقد تمكن ستونهاوس، باعتباره عضوا ببرلمانيا عن دائرة وول سال فى ستافرر دشير، من خداع أحد المستشفيات والحصول منها على بيانات بشأن الأشخاص الذين فى مثل عمره والذين توفوا بالمستشفى. وقال ستونهاوس لمسئولى المستشفى انه يعتزم توزيع بعض المساعدات على أرامل هؤلاء الأشخاص واستقر رأيه على اسمين ثم اتصل بأرملة احدهما وهى مسز جين ماركهام وأعرب لها عن أسفه لوفاة زوجها جوزيف (٤١ سنة) قبل أسابيع بسبب أزمات قلبية.. وبفضل هذه الحيلة، حصل ستونهاوس منها على كل المعلومات التى يحتاجها عن زوجها الراحل لكى ينتحل شخصيته. وكان من أهم المعلومات التى حصل عليها ان جوزيف ماركهام لم يكن لديه جواز سفر لانه لم يسبق له السفر للخارج.. وكرر ستونهاوس نفس الحيلة مع زوجة المتوفى الثانى وكانت تدعى السى ميلدون التى توفى زوجها دونالد أيضا فى نفس المستشفى.

وبعد أن حصل ستونهاوس على نسخ من شهادات وفاة الرجلين، أصبح كل شئ جاهزا لكى ينطلق فى تنفيذ خطته فتقدم بطلب لاستخراج جواز سفر باسم جوزيف ماركهام وأرفق بالطلب صورة له حرص فيها على تغيير تسريحة شعره. واستغل ستونهاوس زميلا له من أعضاء مجلس العموم يدعى نيل ماكبرايد لكى يوقع معه على نماذج وصور استخراج جواز السفر ثم يختمها بخاتم البرلمان البريطانى.. وحتى اختيار ستونهاوس لماكبرايد لم يكن عشوائيا بل لانه علم انه مريض بالسرطان وقد مات بالفعل بعد شهرين.

وفى ٢ أغسطس ١٩٧٢، أصدرت ادارة الجوازات البريطانية جواز سفر رقم ٧٨٥٩٦٥ باسم المواطن البريطانى جوزيف أرثر ماركهام.. وبذلك حصل ستونهاوس على أول مستند رسمى بشخصيته الجديدة.

وحتى يتحول ماركهام الى شخصية حقيقية على قيد الحياة اختار له ستونهاوس عنوانا خاصا فى أحد فنادق لندن الرخيصة بل واختار له عملا أيضا كمستشار فى شركة للتصدير والاستيراد وفتح له حسابا فى البنك وضع فيه رصيدا بسيطا من المال ثم نقل هذا الرصيد الى حساب أخر باسم ماركهام أيضا فى بنك نيو ساوث ويلز فى لندن. وسافر بعد ذلك الى سويسرا حيث فتح حسابا أخر باسمه الجديد جوزيف ماركهام وضع فيه مبلغا كبيرا ثم حصل على بطاقة ائتمان من أمريكان اكسبريس باسم ماركهام أيضاً.

وبحلول نوفمبر ١٩٧٣، كان ستونهاوس قد فتح ٢٧ حسابا بنكيا باسمه الحقيقى بالاضافة الى ١٧ حسابا أخرى باسمه الجديد الذى انتحله وهو ماركهام.. وأصبح كل شئ معد لهروبه ولكن بقيت خطوة واحدة يجب ان تتم من أجل التأكد من نجاح خطته.. وهى تجربتها عمليا.

ففى يوم ٦ نوفمبر، سافر ستونهاوس الى ميامى بحجة عمل مشروع استثمارى كبير من شأنه انقاذ شركاته المفلسة وخاصة البنك التجارى الذى يملكه..

وعلى شاطئ ميامى استخدم ستونهاوس شخصية جوزيف ماركهام وتحرك فى كل مكان بهذا الاسم دون أن يثير ذلك أى مشكلة..

وعاد ستونهاوس إلى لندن ليسافر مرة أخرى بعد عشرة أيام الى ميامى ولكنه استخدم هذه المرة جواز سفره الحقيقى ثم نفذ لعبة غرقه أثناء السباحة وهى اللعبة التى انتهت باخطار رسمى من شرطة ميامى الى الشرطة البريطانية بأن جون ستونهاوس عضو مجلس العموم ورجل الأعمال البريطانى قد مات غرقا ولم يعثر على جثته.

حتى هنا كانت خطة ستونهاوس تسير بنجاح ولكن الصدفة وحدها كشفت أمره وجعلته يدفع ثمن جرائمه.

في اليوم التالي لوصوله إلى استراليا، توجه ستونهاوس أو ماركهام المزعوم إلى بنك نيوساوث ويلز في كولينز ستريت وهناك علم أنه يتم تحويل مبلغ ١٠٠ ألف دولار من فرع لندن باسمه فقام بسحب ٩٠ ألف دولار نقدا وترك الباقى في حسابه ثم غادر البنك إلى مقر بنك آخر هو بنك نيوزيلندا حيث قدم نفسه دونالدميلدون وهو الشخص الآخر الذي توفي في أحد مستشفيات لندن وقال للمسئولين في البنك أنه يعتزم الهجرة إلى نيوزيلندا ولذلك يرغب في فتح حساب بمبلغ ٩٠ ألف دولار.

كان موظف بنك نيوزيلندا الذى تسلم المبلغ لفتح الحساب الجديد شابا يدعى بريان كنج (٢٢ سنة). وتصادف أنه شاهد ستونهاوس أو ماركهام فى بنك نيوساوث ويلز حيث كان فى مهمة هناك فثارت لديه الشكوك فى تعامل الشخص الذى حضر اليهم مع بنكين فى نفس المدينة بل فى نفس الشارع وقام بابلاغ رئيسه فى بنك نيوزيلندا الذى اتصل ببنك

نيو ساوث ويلز وعلم انه لا يوجد عميل للبنك باسم دونالد ميلدون وان المهاجر البريطانى الوحيد الذى حضر للبنك فى ذلك اليوم يدعى ماركهام الذى سحب مبلغا كبيرا من المال بالتحديد ٩٠ ألف دولار.

وتزايدت الشكوك لدى المسئولين فى بنك نيوزيلندا بعد أن تأكدوا من أن هذا العميل رجل بشخصيتين وأبلغ البنك الشرطة الاسترالية بهذه الشكوك ثم بدأت مراقبة ستونهاوس أو ماركهام أو ميلدون. ولم تنتظر الشرطة طويلا، ففى اليوم التالى، استقل ستونهاوس الطائرة من مطار ملبورن وطار الى كوبنهاجن لمقابلة عشيقته شيلا باكلى..

وفى ١٠ ديسمبر عاد الى ملبورن وانتهزت الشرطة فرصة خروجه من شقته فقامت بتفتيشها.. ولم يعثر المفتش جون كوفى من ادارة مكافحة جرائم النصب والاحتيال على أى شئ يشير الى وقوع جريمة ولكن لفت نظره علبة ثقاب تحمل اسم فندق فونتنبلو فى ميامى والذى زاره مفتش الشرطة منذ عشرين عاما.. وقرر المفتش استمرار مراقبة ستونهاوس استمرار مراقبة ستونهاوس بشكل دائم ولمدة ٢٤ ساعة يوميا..

لم يكن فى تصرفات ستونهاوس ما يثير الشبهات.. وكان الشئ الوحيده الذى يفعله بانتظام هو الخروج لشراء صحيفة «التايمز» البريطانية.. ولوحظ إنه لاينتظر عودته للمنزل كى يقرأ الجريدة بل كان يتصفحها فى الشارع.

وأخذ المفتش كوفى يشترى صحيفة «التايمز» كل يوم يبحث فيها عله يصل الى شئ بخصوص المشتبه فيه الذى يراقبه ولكنه لم يجد شيئا يهمه

سوى بعض التقارير عن اختفاء ارستقراطى انجليزى يدعى لورد لو كان بعد أن ارتكب جريمة قتل.

وافترض مفتش الشرطة الاسترالى ان الشخص الذى يراقبة هو نفسه لورد لو كان الهارب ولكن بعد ثلاثة أيام نشرت الصحف نبأ التحقيقات التى تجرى فى ظروف اختفاء جون ستونهاوس عضو البرلمان البريطانى الذى تردد انه غرق على شاطئ ميامى الأمريكى ولم يعثر له على أثر.. وقرأ المفتش كوفى أن عضو البرلمان البريطانى كان ينزل فى فندق فونتنبلو قبل اختفائه.. وهنا تذكر مفتش الشرطة الاسترالى علبة الثقاب التى وجدها فى شقة ستونهاوس وعليها اسم هذا الفندق.

واتصل البوليس الاسترالى بشرطة سكوتلنديارد فى بريطانيا وطلب موافاته فى أسرع وقت ممكن بصورتين الأولى للورد لوكان والثانية لجون ستونهاوس. وأرسلت الشرطة البريطانية الصورتين مع بعض المعلومات التى أكدت أن ستونهاوس لديه أثار جرح قديم فى ساقه اليمنى..

وفى الصباح التالى، توجهت قوة من الشرطة الاسترالية الى شقة ستونهاوس وألقت القبض عليه.. وقد رفض في البداية الاجابة علي أى سؤال ولكن بعد كشف الجرح القديم فى ساقه اليمنى، أدرك ان الاستمرار فى الصمت لن يجدى واعترف بشخصيته الحقيقية.

وقد عثرت الشرطة فى جيوب ستونهاوس على خطاب مرسل الى دنالد ميلدون وكانت كلمات الخطاب تقول:

حبيبى دوم دوم افتقدك كثيرا واشعر بالوحدة. سوف انتظر الى الابد.

(الراسلة شيلا باكلى)

وكان هذا الخطاب هو احد الخطابات العديدة التى أرسلتها لعشيقها الهارب.

وطلب ستونهاوس من الشرطة السماح له بإجراء مكالمة تليفونية مع زوجته بربارة فى لندن.. وسجلت الشرطة المكالمة دون أن يدرى المتهم أو زوجته وخلال المكالمة، اعتذر ستونهاوس لزوجته ووصف لها ما حدث بانه كان ضربا من الجنون وان هدفه من انتحال شخصية اخرى هو بدء حياة جديدة بعيدا عن فشله فى حياته الاولى..

وطلب ستونهاوس من زوجته طلبا غريبا هو أن تحضر اليه فى ملبورن ومعها عشيقته شيلا.. وقال لها انه سيواصل الحياة فى استراليا اذا لم تكن هناك أى عقبات تحول دون ذلك.

ثم تحدث ستونهاوس الى ابنه مايثو البالغ من العمر ١٤ عاما وطلب منه ان يكون شجاعا وقال له انه سيفهم كل شى عندما يكبر.. ثم انهى المكالمة بالحديث مرة أخرى الى زوجته وناشدها ثانية ان تتصل بعشيقته شيلا وتقنعها بالحضور معها الى استراليا.

وقال «هذه الفتاة البائسة دخلت الى الجحيم بأرادتها وفعلت كل شئ من أجلى».

ومن الغريب ان الزوجة بربارة والعشيقة شيلا سافرتا الى ملبورن للقاء ستونهاوس الذى تم الافراج عنه بكفالة.. وعادت الزوجة الى بريطانيا

بدون زوجها الذى هدد بالانتحار لو أجبره أحد على العودة وفضل ا
يعيش مع شيلا فى استراليا أو أى دولة اخرى.

وعاش ستونهاوس مع شيلا حتى ابريل ١٩٧٥ عندما اصدرت
السلطات الاسترالية أمرا بتسليمه الى بريطانيا وفى ابريل ١٩٧٦ بدأت
المحاكمة امام محكمة أولد بيلى فى لندن.

وأعلنت شرطة سكوتلنديارد أن اعادة ستونهاوس الى بريطانيا كلفت الخزانة العامة أكثر من مليون دولار واستمرت المحاكمة عامين كاملين واحتاجت لجهود عشرات الخبراء فى مكافحة النصب والاحتيال قاموا بدراسة وبحث تلال من الوثائق.

وزار هولاء الخبراء عدة دول مع فريق من المحققين مثل الولايات
المتحدة واستراليا وسويسرا وهولندا وهاواى وبلغ عدد الشهود أكثر من
مائة شاهد حضر بعضهم من خارج بريطانيا وحتى هونج كونج.

وفى ٦ أغسطس ١٩٧٦، صدر الحكم باعتبار جون ستونهاوس
«مذنب» فى ١٤ تهمة بينها السرقة والتزوير والنصب والاحتيال.

وصدر حكم القاضى بسجن ستونهاوس ٧ سنوات وقال القاضى وكا
يدعى أيفلى للمتهم لقد حاولت طوال المحاكمة ان تبدو فى صورة الانسا
المثالى سيئ الحظ ولكن الحقيقة غير ذلك.

ولقد وجهت اتهامات لأشخاص أبرياء وحاولت الكذب والادعا
لتبرر افعالك الاجرامية ولكن لاتوجد أى غاية مهما كانت يمكن ان تبر
انتهاك القوانين والعدالة.

وقد انهارت العشيقة شيلا باكلى باكية عندما صدر الحكم عليها
بالسجن لمدة عامين مع ايقاف التنفيذ بتهمة مساعدة عشيقها على
الاحتيال.. ولكن طوال فترة سجن ستونهاوس، وقفت شيلا بجانبه.

وقد أصيب بأكثر من أزمة قلبية فى السجن وأوشك على الموت فى
مستشفى السجن ولكن شيلا كانت دائما بجواره..

وقد تم الافراج عن ستونهاوس بعد ثلاث سنوات فقط لحسن السير
والسلوك ولكن خرج من السجن مريضا ومفلسا ومحطما.. وعاش مع
شيلا فى غرفة رخيصة بأحد أحياء لندن الفقيرة وفى فبراير ١٩٨١، تزوج
ستونهاوس من شيلا رسميا..

وبعد عقد القران، تذكرت شيلا كلماتها للصحفيين بعد اعتقال
ستونهاوس فقد قالت لهم.. نعم أنا أحب هذا الرجل رغم فارق السن
بينا الذى يصل الى عشرين عاما ورغم اتهامه بالنصب والاحتيال ورغم انه
متزوج ورغم انه أصبح فقيرا لايملك أى شئ.. ولو عادت السنين الى
الوراء وأتيحت لى مرة أخرى فرصة الاختيار لماتغيرت خياراتى عما فعلت
ولوقفت أمام العالم كله أصرخ.. هذا الرجل أحبه..

٥ لصوص الكمبيوتر عباقرة النصب !

❞ وهكذا تجرى عملية نقل أرصدة عملاء البنك، إلى حسابات عملاء آخرين بمنتهى البساطة ❝

● واذا كان بعض المحتالين قد استهوتهم لعبة التاريخ واستغلوا عبق الماضى لتحقيق الربح الحرام، فإن فئة اخرى من عباقرة النصب والاحتيال، والاحتيال، اختارت استغلال احدث مبتكرات العصر فى الوصول الى نفس الهدف.. وقد شهدت السنوات الاخيرة موجة من الجريمة التى يكون العنصر الرئيسى فيها جهاز الكمبيوتر الذى كان الهدف منه هو خدمة الانسان ولكن بعض اللصوص والمحتالين نجحوا فى تحويله إلى مجرد أداة عصرية للنصب والاحتيال.

والمجرم الذى يتعامل مع الكمبيوتر ليس محتالا عاديا بل هو شخص على درجة عالية من العلم والثقافة وعلى قدر هائل من الذكاء والعبقرية يتيح له التغلب على الذكاء الصناعى الذى يمثله الكمبيوتر بل وان يجعل من هذا الكمبيوتر سخرية العالم ورمزا للغباء والحماقة.

هذا التحدى بين ذكاء الانسان وذكاء الكمبيوتر لا يمثل لعبة عادلة فالانسان يستغل اسلحة لايعرفها الكمبيوتر مثل المكر والدهاء والخداع ولذلك ينجح فى قهر الذكاء المستقيم الذى يمثله الكمبيوتر بسهولة.

الغريب أن معظم جرائم الاحتيال والاختلاس التى تتم بواسطة استغلال الكمبيوتر لا يتم الابلاغ عنها.. ولاتتجاوز نسبة مايصل الى الشرطة.

من هذه الجرائم عشرة فى المائة فقط تمثل قمة جبل الجليد الذى يمكن إدراك حجمه الهائل في بلد مثل بريطانيا من خلال حقيقة تفرغ خمسين

شخصا من أبرع رجال شرطة سكوتلنديارد لبحث جرائم احتيال واختلاس بالكمبيوتر تصل قيمتها الى ١٠٠ مليون استرليني كل عام.

وقد ظهرت شركات متخصصة في مراقبة عمليات الكمبيوتر بهدف اكتشاف اى تلاعب. وتتميز الجرائم من هذا النوع بأنها تتم خلال جزء من الثانية.

وفى الولايات المتحدة تصل قيمة جرائم الاحتيال والاختلاس بالكمبيرتر إلى مليار دولار سنويا ومن اشهر الجرائم التى تحدثت عنها الاوساط المالية الامريكية لشهور مافعله موظف صغير فى احد البنوك حيث اضاف مبلغ ١٠ سنتات كمصروفات إدارية لكل حساب يقل عن ١٠ دولارات وأضاف دولارا واحدا لكل حساب يتجاوز عشرة دولارات ثم استخدم الكمبيوتر فى تجميع هذه المبالغ التافهة التى لا يشعر بها عملاء البنك ووضعها فى حساب خاص باسم وهمى هو المستر «زيزويكى» وهو اسم غير شائع بهدف عدم تداخله مع أى حساب اخر.. واستمرت هذه العملية لسنوات حقق الموظف خلالها ارباحا بلغت مئات الالوف من الدولارات ولكن حظه العاثر جعل شخصا آخر باسم مستر «زيزويكى» يفتتح حسابا فى البنك.. ولاحظ هذا الشخص زيادة هائلة فى حسابه كل شهر فأبلغ المسئولين فى البنك وانكشفت عملية الاحتيال.

موظف أخر كان يعمل على الكمبيوتر فى احد بنوك ولاية كاليفورنيا الأمريكية، قام ببرمجة جهاز الكمبيوتر بحيث يضيف أرصدة كل الحسابات التى لايطالب بها اصحابها لسبب او لآخر الى حسابات اقاربه.. وحقق هذا الموظف ثروة هائلة عندما اختلف معه احد هؤلاء الاقارب على نصيبه من المال وقام بإبلاغ البنك.

والمحاسب الامريكى الدون وريس من اشهر المحتالين الذين برعوا فى استغلال الكمبيوتر لتحقيق الثراء حيث نجح فى الحصول على اكثر من مليون دولار خلال الفترة من عام ١٩٦٣ حتى عام ١٩٦٩.

فقد تمكن الدون رويس من التلاعب فى حسابات الكمبيوتر الخاصة بإحدى شركات تسويق الخضراوات التى تتعامل معه بحيث اضاف مبالغ ضئيلة على اسعار الشراء ثم حمل هذه الاضافات على اسعار البيع واحتفظ بالفارق لنفسه.. ولم يلاحظ احد هذا التلاعب البسيط مع ضخامة نشاط الشركة وخروج ميزانيتها سليمة ودقيقة كل عام من الكمبيوتر.

والغريب أن الكمبيوتر هو الذى تسبب فى سقوط المحاسب المحتال، فى أحدى المرات حدث خطأ نادر من الكمبيوتر جعل المحاسب مدينا بمبلغ كبير لا يستطيع سداده فاضطر إلى الاعتراف بوجود بعض الاخطاء.. وكلفت الشركة عددا من الخبراء بمراجعة أعماله وتم اكتشاف التلاعب وصدر الحكم بسجنه مدة ١٠ سنوات.

وقد حقق خبير الكمبيوتر الأمريكى ستانلى ريفكين ثروة هائلة ادخلته فى اعداد اصحاب الملايين خلال دقائق قليلة .

كان ريفكلين يعمل كمنظم برامج كمبيوتر فى أحد بنوك لوس انجلوس لمدة عشر سنوات ثم ترك العمل ولكن علاقاته استمرت وكان يتردد عليهم بشكل منتظم. وذات يوم انتهز فرصة خلو غرفة الكمبيوتر بالبنك من الموظفين وقام بتحويل عشرة ملايين دولار من أموال البنك الى حسابه الخاص..

وتم اكتشاف عملية الاحتيال هذه عندما ابلغت صديقة ريفكين مكتب التحقيقات الفيدرالية بالجريمة والقى القبض عليه وقدم للمحاكمة حيث صدر الحكم بسجنه.

٦ تمثال الحرية للبيع وساعة "بج بن" للإيجار

"صدق أو لاتصدق.. هذه هى أغرب وأعجب وأطرف عمليات نصب يمكن أن يتخيلها المرء، ولكنها وقعت بالفعل، وأمامها وقف المحققون والقضاة والسياسيون لايسخرون فقط من ضحايا النصاب المحترف ولكن أيضا من أنفسهم، لانهم أيضا كانوا مذنبين!!"

● أصعب مرحلة فى عملية الاحتيال هى اختيار الطعم الذى يتم به اصطياد الضحية وجذبها للوقوع فى حبائل المحتال. والنصاب البارع يؤمن بالمقولة الشائعة «أنا لا احب الديدان ورغم ذلك استخدمها لصيد السمك الذى أحبه» وهكذا يلجأ المحتال الى استخدام اى شئ يمكن أن يساعده فى تحقيق هدفه.. البعض الآخر يستخدم أحدث مبتكرات العصر وهو جهاز الكمبيوتر لتنفيذ جريمته مستغلا الثقة فى اجهزة الكمبيوتر وعدم قدرة هذه الاجهزة على مواجهة دهاء العقل البشرى.

يوصف المحتال الاسكتلندى ارثر فيرجسون بأنه احد اعظم العقليات فى عالم النصب والاحتيال.. كان يعشق المهام الصعبة ويقوم بأخطر العمليات من اجل تحقيق هدف غريب هو اثبات ان الانسان مخلوق ساذج [illegible] حين تسيطر عليه غريزة الجشع فتجعله عاجزا عن رؤية أبسط الحقائق وإدراك اسهل البديهيات.

عاش ارثر فيرجسون فى بريطانيا خلال النصف الاول من هذا القرن.. وكان كغيره من المحتالين حلو الحديث ناعم الألفاظ وصاحب تفكير منطقى وقدرة هائلة على الاقناع.. وقد بدأ حياته كممثل مسرحى فى فرقة من الدرجة الثالثة تقدم المسرحيات القديمة فى مختلف المدن والقرى البريطانية.

وفى عام ١٩٢٥، كان ارثر فيرجسون يمثل فى احدى المسرحيات دور شخص امريكى يتعرض لعملية نصب فى لندن.. وتقمص فيرجسون لشخصية وعايشها تماما حتى اصبحت تعيش بداخله.. وفى هذه الفترة اتخذ قراره بتنفيذ الخدعة التى يقوم بتمثيلها كل يوم مع تعديل بسيط هو أن يلعب دور الجانى بدلا من المجنى عليه وان يقوم بدور المحتال بعد أن أصبح يعرف كل تفاصيل شخصية من يسقط ضحية الاحتيال.

وهكذا، بدأ ارثر فيرجيسون رحلته فى عالم الجريمة فاستقال من عمله فى المسرح وقرر أن يقتحم عالم المحتالين والنصابين بعمليات كبرى تجعله بين زعماء هذا العالم خلال اقصر فترة ممكنة.

وهكذا وعلى طريقة دقات المسرح الثلاث التقليدية التى تعلن بدء العرض، عد ارثر فيرجيسون نفسه لتنفيذ ثلاث عمليات كبرى متتالية لاحداث اكبر ضجة ممكنة بهدف الاعلان عن مولد محتال جديد ولكنه محتال ولد عملاقا فى عالم الجريمة.

وخلال اسابيع قليلة من عام ١٩٢٥، نفذ فيرجيسون ثلاث عمليات من اخطر واشهر العمليات فى تاريخ النصب والاحتيال.

كانت رؤية فيرجيسون الصحيحة هى ان الانسان يندفع لامتلاك الشئ الذى يفتقده وأن غريزة التملك لديه تشتعل كلما كان هذا الشئ نادرا يصعب الحصول عليه.

ومن خلال تجربته فى المسرح التى مثل خلالها شخصية الامريكى الذى

لعرض لعملية نصب، ادرك فيرجيسون ان الامريكيين شعب محدود التاريخ حديث العهد الحضارة ولذلك، فأن عشقهم للتاريخ بلاحدود ورغبتهم فى اقتناء كل ماهو قديم لاتقاوم.

وعند هذه النقطة، انطلقت خطة فيرجيسون ليبدأ رحلته المثيرة فى عالم النصب والاحتيال.

كانت الخطة بسيطة للغاية ولكنها محكمة لاقصى درجة.. فقد توجه الى أشهر مكان فى لندن يقصده السياح الامريكيون وهو قصر بكنجهام مقر ملكة بريطانيا، وهناك، أخذ يتظاهر بأنه يقوم بفحص اسرار القصر وقياس ابعادها بتركيز واهتمام شديدين.. وقد اختار وقت تغيير الحرس فى قصر بكنجهام لأن معظم السياح يعشقون رؤية وتصوير هذا المشهد.. وبينما كان فيرجيسون يعاين قصر ملكة بريطانيا من الخارج، اقترب منه سائح امريكى ليسأله عن بعض المعلومات المتعلقة بتاريخ القصر.. كان شكل فيرجيسون يوحى بأنه احد المسئولين البريطانيين.. ورد على تساؤل السائح الامريكى بفيض من المعلومات عن قصر بكنجهام.. وفجأة ظهر الاسى على ملامحه وهو يؤكد للسائح الامريكى ان هذا القصر العريق معروض للايجار الآن بشكل سرى من اجل سداد ديون الحكومة البريطانية.. ومن باب الفضول، سأل السائح الامريكى عن المبلغ الذى تطلبه الملكة، وكان رد فيرجيسون ان المبلغ لن يكون كبيرا وسوف يتم اختيار اكبر عرض.

وأضاف أن بوسعه مساعدة السائح الامريكى فى الفوز بهذه الصفقة ولكن المسألة قد تحتاج لتقديم «اكراميات» لبعض المسئولين.. وفى النهاية

اخرج السائح الامريكى من جيبه دفتر شيكات وكتب شيكا لحامله بمبلغ ٥ آلاف استرلينى.. واصر فيرجيسون على ان يقدم له ايصالا بالمبلغ لانه انسان شريف على حد قوله. وحدد له موعدا لمقابلته امام مقر عمدة لندن فى اليوم التالى لانهاء الصفقة.

وبعد أيام قليلة من هذه العملية كرر فيرجيسون نفس الخطة ولكنه بهذه المرة باع ساعة بج بن الشهيرة فى لندن لاحد السياح الامريكيين ايضا .

والطريف انه عرض على ضحيته اما ان يشترى الساعة التاريخية فقط أو أن يشترى الساعة والبرج الشهير الخاص بها.. وتمسك السائح بشراء الساعة والبرج معا.. وحصل فيرجيسون على شيك بعشرة الاف استرليني كمقدم ثم اختفى دون أن يعرف الضحية حتى اسمه الحقيقى. **الاغرب أن صاحبنا نفسه كان قد أقنع ساذجاً ثرياً من قبل باستئجار الساعة ووضع ستارة هائلة عليها، حيث يتعين على كل من يراها ان يدفع ٥جنيهات استرليني.**

واستهوت اللعبة المحتال الخطير فانطلق بعد أيام الى ميدان الطرف الاخر الأغر الشهير فى لندن، واصطاد سائحا امريكيا ليحكى له قصة وهمية عن رغبة الحكومة البريطانية فى بيع عمود القائد البحرى الشهير الاميرال نلسون الذى يعد من اشهر الآثار التى يحرص كل زائر للندن على رؤيتها.. وفى النهاية تمكن المحتال من الحصول علي عشرة آلاف استرليني كثمن لهذه التحفة التاريخية ولكنه فى هذه المرة وجد الضحية متعجلا لاستلام العمود الاثرى ونقله إلى امريكا فى اسرع وقت ممكن

فأعطاه خطابا لاحدى الشركات المتخصصة فى عمليات هدم وازالة المبانى وطلب منه التوجه فى الصباح التالى لهذه الشركة وتقديم الخطاب لهم وسوف يقومون بعمل كل مايريده.

وعندما توجه السائح الامريكى إلى هذه الشركة فى الصباح تحول إلى موضوع سخرية لجميع العاملين فيها الذين اعتقدوا فى البداية انه شخص مجنون ولكنهم اكتشفوا بعد فترة انه ضحية لعملية نصب كبرى فتم استدعاء شرطة سكوتلنديارد التى اصيب المسئولون فيها بالرعب من تكرار هذا الاسلوب فى النصب والاحتيال..

ورغم ذلك،فقد فشلت كل المعلومات التى أدلى بها جميع الضحايا فى كشف شخصية المحتال الخطير الذى كان يغير اسمه وملامحه فى كل عملية.

كانت المبالغ التى حصل عليها ارثر فيرجيسون فى عدد محدود من عمليات النصب والاحتيال هائلة بأسعار عام ١٩٢٥.. ولكنه ادرك أن الشرطة البريطانية فى حالة طوارئ للبحث عن المحتال الذى يبيع التاريخ لعشاق التاريخ.. وفى نفس الوقت لم يكن يريد التوقف عن استغلال فكرة ولع وجنون الامريكيين بكل ماهو قديم ولذلك، قرر أن يذهب إلى منجم الذهب ليغترف ما يشاء من المال سافر الى الولايات المتحدة ليمارس عمليات النصب على الامريكيين فى عقر دارهم.

وهكذا، هاجر ارثر فيرجيسون إلى الولايات المتحدة فى اواخر عام ١٩٢٥ حيث اقتنع نفسه بأنه سيسعى اولا للاستمتاع بالاموال التى استولى

عليها واذا وجد فرصة للعمل فلن يكون هناك مانع فى الحصول على بعض الدولارات الموجودة بوفرة لدى الامريكيين.

وفى العاصمة واشنطن، التقى فيرجيسون بأحد تجار المواشى فى ولاية تكساس.. ولاحظ المحتال بخبرته ان الرجل ينظر بأعجاب وانبهار الى البيت الابيض حيث مقر رئيس الولايات المتحدة الامريكية، فاقترب منه ودخل معه فى حوار على انه احد العاملين بالبيت الأبيض.

كان المحتال يعلم استحالة أن يقتنع احد بأن امريكا فقيرة ولذلك تعتزم بيع أو تأجير البيت الأبيض، فتعمد توجيه الحوار الى الناحية السياسية والمنافسة بين الحزبين الجمهورى والديمقراطى فى امريكا.

وقال ان الحزب المعارض يضغط بقوة على الادارة الحاكمة لكى تخفض نفقاتها وتبحث عن موارد جديدة لتمويل ميزانيتها وان الامور وصلت الى حد اتخاذ الحكومة قرارا بتأجير البيت الابيض مقابل مائة الف دولار سنويا.. ولاحظ المحتال بريق الاهتمام فى عين تاجر المواشى فانتهز الفرصة ودعاه إلى تناول الغداء معه في أحد المطاعم القريبة. وهناك تمكن من السيطرة تماما عليه لدرجة انه «وضعه فى جيبه» كما يقولون وحصل منه على شيك بعشرة آلاف دولار مقابل مساعدته فى الفوز بصفقة تأجير البيت الابيض.

وانتقل أرثر فيرجيسون بعد ذلك الى مدينة نيويورك وبالتحديد الى جزيرة مانهاتن حيث يوجد واحد من اشهر وأهم المعالم فى الولايات المتحدة هو تمثال الحرية.

وكان الصيد هذه المرة من استراليا حيث التقى فيرجيسون قرب التمثال

بسائح استرالى كان يلتقط بعض الصور لتمثال الحرية من مختلف الزوايا... واقترب المحتال من السائح وعلى وجهه علامات الحزن قائلاً:

«التقط ياصديقى ماتشاء من الصور، فقريبا لن يكون تمثال الحرية فى هذا المكان».

وابتعد المحتال بعد ذلك عن السائح الذى تفجر الاهتمام والفضول لديه لمعرفة السبب الذى سيجعل تمثال الحرية غير موجود فى مكانه قريبا. واقترب السائح من فيرجيسون وسأله عن حقيقة الامر.. ورد المحتال بأنه يشعر بأسى عميق لان هذا التمثال العظيم سيترك موقعه المطل على ميناء نيويورك نظرا لان السلطات الامريكية تعتزم توسيع الميناء ولذلك فسيتم تفكيك التمثال وبيعه خلال فترة قصيرة الامر الذى سيشكل خسارة فادحة للامريكين.

وبعد ان انتهى فيرجيسون من كلامه، لاحظ ان السائح الأسترالى يتطلع إلى الافق وقد سرح بخياله بعيدا.. كان السائح فى الحقيقة يتخيل او يحلم بانتقال تمثال الحرية الى ميناء سيدنى الاسترالى بدلا من ميناء نيويورك.. وانتهز المحتال هذه اللحظة ليطرق على الحديد وهو ساخن.. فأبلغ السائح الاسترالى انه مسئول فى بلدية نيويورك وانه سيشرف على عملية إزالة وبيع تمثال الحرية. وقال له انه يتمنى لو انتقل هذا التمثال الى احد موانىء استراليا لان والدته استرالية من سيدنى.

وبعد ذلك، لم يجد المحتال صعوبة فى الحصول على شيك لحامله بمبلغ ١٠٠ الف دولار.. وترك السائح ينظر فى إعجاب الى تمثال الحرية الذى سينتقل قريبا الى مكانه اللائق فى ميناء سيدنى باستراليا.

كان فيرجيسون سعيداً وهو يقوم بصرف الشيك بالمبلغ الضخم ولكنه فى غمرة سعادته نسى أنه ارتكب الخطأ القاتل الذى لابد ان يقع فيه اى مجرم مهما بلغت براعته وعبقريته.

فقد سمح، لايدرى كيف، للسائح الاسترالى بأن يلتقط له صورة وهو بجانب تمثال الحرية كتذكار للصفقة التاريخية وبسبب هذه الصورة، تعرفت عليه الشرطة وتم القبض عليه وتقديمه للمحاكمة..

وصدر الحكم بسجن أرثر فيرجيسون لمدة خمس سنوات مع الشغل والنفاذ وعندما خرج من السجن قرر اعتزال النصب والاحتيال والاكتفاء بالمبالغ الضخمة التى استولى عليها،واحتفظ بها في حساب سرى بأحد البنوك لحين خروجه.

وعاش المحتال الاسكتلندى الخطير فى ولاية كاليفورنيا الأمريكية عيشة الأثرياء حتى وفاته فى عام ١٩٣٨.

٧ القديسة صديقة الفقراء محتالة من نوع خاص!!

❞ ورغم انها زوجة لرئيس البلاد إلا أن هذا لم يمنعها من النصب والاحتيال، مستغلة ذكاءها وجمالها. ❝

● **حكاية ايفا بيرون شديدة الغرابة.. فهذه المرأة التى كانت زوجة لرئيس الارجنتين الاسبق تعتبر بمثابة الأسطورة التى ترفض ان تموت رغم تعرضها لمحاولات اغتيال لاحصر لها حتى بعد وفاتها.. لقد احبها الفقراء حبا مطلقا بلا قيد ولاشرط. وعندما اثبتت التحقيقات انها أثرت على حساب الجماهير وأختلست اموال المشروعات الخيرية التى كانت تشرف عليها. لم تهتز صورتها فى عيون وقلوب الجماهير.. وظلت ايفيتا هى الملاك الصغير او الاسطورة التى ترفض ان تموت.**

كانت ايفا بيرون معبودة الفقراء والمساكين فى الارجنتين.. لقد ولدت ونشأت بينهم وظلت تؤكد كل لحظة انها لن تتخلى عنهم ابدا بل ستظل معهم حتى فى فردوس العالم الاخر .. لذلك لم يكن من الغريب ان يحبها الفقراء.. وان يطلقوا عليها اسم سانتا ايفيتا او القديسة ايفا الصغيرة..

وخلال السنوات التى اعقبت الحرب العالمية الثانية: كانت هى البطل الدرامى الذى يحظى باعجاب كل المظلومين واشتهرت بانها نصيرة العرايا والحفاة. ورغم الفكرة السائدة عن ضعف الفقراء والمساكين، الا ان حبهم لايفا بيرون جعلها بالفعل اقوى امرأة فى العالم.

كانت ايفا زوجة للرئيس الارجنتينى الجنرال خوان بيرون ومن هذا الموقع انطلقت تتحرك وسط الجماهير توزع المساعدات وتقدم الخدمات.. وكانت تقوم بزيارات مفاجئة للقرى وتدخل بيوت الفلاحين لتقدم المواد الغذائية لهم والحلوى لاطفالهم..

ورغم الشعبية الهائلة التى حققتها الا ان تناقضا هائلا فى شخصيتها كان يحير الكثيرين..

فهذه الانسانة البسيطة المتواضعة، كانت تعشق المجوهرات الغالية والملابس المصنوعة من الفراء الفاخر وكان تفسير ايفا لهذا التناقض غريبا، فقد كانت تؤكد ان هذه هى الصورة التى يريد شعبها ان يراها عليها لانهم يعتبرونها الشىء الساحر الوحيد فى حياتهم البائسة والنموذج الرائع الوحيد الذى ينتمى اليهم.

ولكن الحقيقة أن هذا السحر والثراء لم يكن ابدا من اجل الفقراء، فقد ظهرت الحقيقة بعد سنوات لتؤكد ايفا بيرون وزوجها الجنرال خوان بيرون عاشا ما يشبه انفصام الشخصية..

فبجانب الاعمال الخيرية التى قاما بها والارتباط المعلن بالفقراء والمساكين، كان هناك وجه اخر لرئيس الارجنتين الراحل وزوجته وهو ذلك الوجه المعروف والشائع بين حكام العالم الثالث.. السعى لجمع الثروات من أموال الشعب وتهريب هذه الثروات الى حسابات سرية فى البنوك الاجنبية..

بدأت قصة ايفا بيرون فى عام ١٩١٩ عندما ولدت الطفلة ايفا دوارتى كابنة غير شرعية لامرأة فقيرة فى احدى قرى الارجنتين.

وقد ظلت ايفا بيرون طوال حياتها تؤكد انها من مواليد ١٩٢٢ ولكن الحقيقة التى تأكدت بالمستندات بعد وفاتها اكدت انها ولدت قبل هذا التاريخ بثلاث سنوات. وعندما بلغت سن الخامسة عشرة سافرت ايريس مع اول رجل احبته وهناك حاولت العمل كممثله.

وبعد ٩ سنوات من الحياة فى بوينس ايرس التقت بالكولونيل خوان بيرون الذى كان عمره يبلغ ضعف عمرها فى ذلك الحين.. كانت ايفا قد بدأت العمل كممثلة فى الاذاعة الارجنتينية بأجر ١٥ دولارا فى الاسبوع، وكان اللقاء الاول بينها وبين الكولونيل خوان بيرون فى محطة الاذاعة التى توجه اليها مجموعة من الضباط اليمينيين لتوجيه نداء للمواطنين عبر الاثير بالتبرع لصالح ضحايا زلزال ضرب الارجنتين فى ذلك الحين.

وقد سحرت ايفا الكولونيل بجمالها وصوتها الدافئ واعجبت هى برجولته وملامحه التى توحى بالثقة. ورويدا رويدا اصبحت ايفا هى التى تذيع بصوتها كل النداءات الخاصة بالاعمال الخيريةالتى يقوم بها خوان بيرون.. ثم اصبحت هى المتحدث الرسمى باسم الكولونيل بيرون وقامت بجهد هائل من اجل دعم شعبيته وزيادة نفوذه..

وكانت تتحدث عنه فى كل مكان وتصفه بأنه الوطنى الأول الذى لا يهمه شىء فى الحياة سوى «الديسكا ميسادوز» اى الحفاة والعراة.

وفى عام ١٩٤٥ أطاح تمرد عسكرى بخوان بيرون وكانت ايفا هى التى تحركت بفاعلية بين شباب الضباط فى الجيش وعمال المصانع وجماهير الشعب الارجنتينى حتى تمكنت فى النهاية من اعادته الى موقعه كقائد للجيش ورئيسا للحكومة.

وفى هذه اللحظة ، ادركت ايفا ان الرجل الذى اختارته لديه كل المقومات لكى ينطلق الى اعلى مراتب السلطة لذلك كان من الحتمى ان يتم الزواج بينهما.. وفى العام التالى خاض الجنرال خوان بيرون انتخابات الرئاسة وبجانبه زوجته الساحرة ذات الشعبية الهائلة..واكتسح بيرون الانتخابات بعد ان حصل على اصوات الفقراء والبائسين الذين استطاعت زوجته ايفا ان تداعب احلامهم وتقنعهم بأن بيرون هو الزعيم الوحيد القادر على تحقيق كل هذه الأحلام والامانى.

وكزوجة للرئيس تزايد ظهور التناقض بين طموحات ايفا الاسطورية وماضيها المتواضع، فقد كانت عاشقة للبذخ والرفاهية رغم كل تعاطفها مع البسطاء والفقراء.

وعندما اقتحمت ايفا بيرون مجال الاعمال الخيرية والانشطة الاجتماعية، تعرضت لسخرية واستهزاء سيدات الطبقة الارستقراطية والراقية اللاتى يسيطرن على هذه الانشطة..ورغم ذلك استطاعت ايفا خلال فترة قصيرة ازاحة كل منافساتها.. وشنت حملة كبرى اطلقت عليها اسم «صندوق إيفا للاعمال الخيرية ».. وقامت بجمع وشراء الملابس الاوربية وقدمتها للفلاحين والفقراء الذين وصل اهتمامها بهم الى حد اغراق أطفالهم بلعب الاطفال التى كانت تحصل عليها من جميع انحاء العالم.. لكل ذلك كان من الطبيعى ان ينظر اليها فقراء الارجنتين باعتبارها الملاك الذى ارسلته السماء لمساعدتهم.. واصبحت صورتها اقرب إلى القديسة التى تمسح دموع المساكين والبؤساء.

وقد استطاعت ايفا ان تدعم سلطة زوجها الرئيس على أساسين رئيسيين.. الاول هو نقابات العمال التى بهرتها افكارها عن المساواة الاجتماعية وحقوق الطبقة العاملة والثانى هو الفقراء الذين كانوا على استعداد لتقديم ارواحهم فداء لايفا بيرون.

واتفق اصدقاء بيرون وخصومه على حد سواء على انه رئيس قوى وان نظامه لايمكن لاحد الاطاحة به أو حتى اضعافه.. وكان الجميع يدركون ان سر قوة هذا النظام هو السيدة الاولى ايفا بيرون.. معبودة الجماهير.

ولكن بعد سنوات، أصيبت ايفا بمرض السرطان وبدأ نظام خوان بيرون يهتز بعنف بعد ان خسر صوته الذى يحبه الشعب.. وتدهورت الحالة الصحية لايفا واصيبت بالنحول والهزال واكد الاطباء ان حالتها ميئوس منها.. ورغم ذلك ظلت حريصة على حضور اللقاءات السياسية والاجتماعات الجماهيرية التى يعقدها زوجها الذى كانت تستند على ذراعه وهى تكاد تبكى من الالم.

وفى الساعة الثامنة و٢٥ دقيقة من صباح ٢٦ يوليو١٩٥٢، ماتت ايفا بيرون وهى فى الثالثة والثلاثين من عمرها.. وبمجرد ان لفظت آخر انفاسها قام احد الخبراء، وكان بجانبها طوال ايامها الاخيرة، بتحنيط جثمانها وسحب الدماء من الجسد وضخ فى الشرايين الكحول والجلسرين للمحافظة على أعضاء الجسم من التحلل.

واجتاحت الارجنتين حالة من الخوف لموت ايفا بيرون وأحاط مليونان من البشر بجثمانها.. وخلال الجنازة مات سبعة اشخاص سحقا بالاقدام

من شدة الزحام وتقدم الكثيرون بخطط لاحقة لها لتخليد ذكرى ايفا بيرون وكان من بين ذلك اقامة ضريح لها فى كل قرية بالارجنتين.

وفى عام ١٩٥٥ ادى تدهور الاوضاع الاقتصادية وارتفاع معدلات التضخم الاقتصادى فى الارجنتين الى سقوط حكم خوان بيرون الذى هرب الى اسبانيا حيث عاش فى المنفى لمدة ٢٠ عاما بينما قام خليفته الجنرال لوناردى ببذل كل جهد ممكن للقضاء على اسطورة ايفا بيرون.. فقد قام الحاكم الجديد بفتح قصور وبيوت الرئيس السابق للشعب حيث شاهد الناس لاول مرة كيف كان يعيش خوان بيرون.. وفى احد القصور كان هناك ١٥ سيارة سبور فاخرة، و٢٥٠ موتوسيكلا من اغلى الموديلات وكلها خاصة بالرئيس السابق.. وفى قصر اخر، تم العثور على ثروة هائلة من اوراق البنكنوت قدرت بحوالى ١٠ ملايين دولار نقدا بالاضافة الى مجوهرات ثمينة ومقتنيات غالية بخلاف تلك التى تم تهريبها الى الخارج والحسابات السرية فى البنوك الاجنبية.

وكانت الصدمة الكبرى عندما تم الكشف عن شبكة عشيقات خوان بيرون وعشرات القصور والشقق الفاخرة فى مختلف انحاء الارجنتين حيث كان الرئيس السابق يروى ظمأه للفتيات الصغيرات فى سن المراهقة.

ومن اجل هدم اسطورة الملاك الصغير ايفيتا بيرون، قام الحكام العسكريون الجدد فى الارجنتين بعرض مجوهراتها وملابسها على الفقراء الذين احبوها ولكن الغريب ان ذلك لم يؤثر على حب المساكين لها وربما

كان سبب ذلك يرجع الى انها كانت ترتدى دائما هذه الملابس الغالية والمجوهرات الثمينة امام الجميع ولذلك لم تكن هناك مفاجأة لاحد..

وحتى عندما اثبتت السلطات العسكرية الجديدة فى بوينس ايرس حدوث اختلاسات وفساد مالى فى المؤسسات الخيرية التى كانت تشرف عليها ايفا بيرون لم يتغير الوضع وظلوا ايضا يحبونها.. وعندما قالوا للفقراء ان كل ثروة ايفا بيرون قد نهبت من الاموال التى كانت مخصصة لهم كان الرد.. «نحن جميعا ملك لايفيتا بيرون فلتأخذ ما تشاء ولتفعل ما تشاء ولكننا سنظل نحبها الى الابد»

٨ عملية مدام كيتي وقصر المتعة !!

❞ هذه أكبر عملية خداع واحتيال فى العصر الحديث، ولو كانت فى شكل قصة، أو رواية أو فيلم سينمائى، لكان من الصعب علينا جميعاً تصديقها، ولكنها فى النهاية، هى الواقع ❝

● مؤامرات الخداع والاقبال ليست مقصورة على الافراد فقط الذين يمارسون هذا النشاط الاجرامى لتحقيق بعض المكاسب المادية.. ففى احيان كثيرة تتورط دول وحكومات فى خطط ومؤامرات للخداع بهدف الوصول لاهداف سياسية أو عسكرية.. وفى هذه الحالة يكون حجم المؤامرة هائلا وتفاصيلها مروعة لأنها تستخدم امكانيات لاقبل لاى فرد مهما بلغت قدراته..

ان عمليات الخداع التى تقوم بها الدول والحكومات لايكون ضحيتها مجرد افراد سقطوا فى حبائل الاقبال بل ان الضحية فى هذه الحالة شعوب بأسرها تدفع من حياتها ومستقبلها ثمن هذه المؤمرات التى يدبرها مسئولون كبار وتنفذها اجهزة الدولة ومؤسساتها لخدمة اطماع خاصة لاعلاقة لها بمصلحة الشعوب.

كان قصر المتعة الذى تديره مدام كيتى هو حديث المجتمع الراقى فى برلين خلال الحكم النازى لالمانيا.. كل الشخصيات البارزة من الساسة والجنرالات ورجال المال والصناعة والدبلوماسيين، كانوا يزورون هذا القصر ويدق الواحد منهم جرس الباب ثم ينطق بكلمة السر « انا قادم من روتنبرج» وهنا تفتح امامه ابواب الجنة ويدخل الى ذلك العالم السحرى الذى يحلم به كل المثقلين باعباء الاعمال الحساسة والمهام الجسام..

البداية.. فى صالون فاخر حيث تنساب موسيقى عذبة لتشيع جوا من الرومانسيه فى المكان.. يتقدم موظف ترسم على وجهه كل ملامح الجبرية

والوقار ويسلم الزائر البوما للصور به صور بمختلف الاحجام ومن مختلف الزوايا لحوالى عشرين فتاة من اجمل الجميلات.. ومع كل مجموعة صور تفاصيل وبيانات ومعلومات دقيقة عن صاحبتها..

وعندما يستقر اختيار الزائر على احدى الفتيات ينسحب الموظف فى هدوء.. وان هى الادقائق حتى تحضر الفتاة بنفسها ويتم التعارف بينهما فى لحظات.. وخلال فترة قصيرة.. تكون الفتاة قد وطدت علاقتها بالضيف واستغلت خبرتها وتدريبها الراقى فى جعله يشعر بانهما يعرفان بعضهم منذ سنوات.. بعد ذلك ينتقل الاثنان الى احدى غرف القصر لقضاء الوقت الممتع الذى يسعى اليه هذا الضيف والذى ينصرف فى النهاية وهو سعيد بتلك اللحظات التى اختلستها من حياته الجادة بعيدا عن القيود الرسمية التى تحيط به من كل جانب.

والحقيقة ان قصر المتعة الذى كانت تديره مدام كيتى فى شارع جيسبر شتراس ببرلين لم يكن مجرد بيت من بيوت الرذيلة بل كان مؤسسة شديدة الخطورة تابعة لجهاز الجستابو او البوليس السياسى الالمانى الشهير فى عهد هتلر والذى اخذ على عاتقه حماية النظام النازى من اى تهديدات او مؤمرات قد تعرضه للسقوط.

وقد تعرض البوليس السياسى الالمانى لعدة انتكاسات فى محاولاته تجنيد شبكة من العملاء للحصول على المعلومات من الدوائر العليا سواء من الالمان او الاجانب. وفى عام ١٩٣٩. برقت فكرة (عملية مدام كيتى) فى ذهن جروبنفورهر رينارد هايدريتش رئيس جهاز البوليس السياسى

الالمانى (الجستابو) الذى عرف بعد ذلك باسم «سفاح براغ» نظرا للمذابح الوحشية التى ارتكبها فى العاصمة التشيكية خلال الحرب العالمية الثانية.

وكانت بداية عمليات مدام كيتى ملاحظة رئيس الجستابو من تسرب معلومات خطيرة تمس امن النظام الهتلرى واتضح ان المسئولين عن هذا التسرب هم كبار القادة النازيين، الذين لايلتزمون بالحرص الكافى ويثرثرون باخطر المعلومات والاسرار فى جلساتهم الخاصة.. ونظرا لان الحرب كانت تقترب بسرعة، فقد قرر رئيس الجستابو ضرورة التصرف مع اصحاب تلك الإلسن المتقلبة وقطع هذه الالسن.

حتى لاتسبب فى هزيمة المانيا فى الحرب. ورأى هايدريتش ان افضل وسيلة لاكتشاف هؤلاء هى وضعهم فى اختبار عاطفى لمعرفة مدى قدرتهم على حفظ الاسرار خاصة عندما تدير الخمر رؤسهم وتسلب منهم الفتيات الجميلات قدرتهم على الكتمان وحفظ الاسرار..

وهكذا، اصدر هايدريتش اوامره لوالتر شلنبرج رئيس جهاز الامن الداخلى الالمانى بالبحث فى جميع بيوت الرذيلة عن اجمل الفتيات وتجنيدهن للعمل فى شبكة مهمتها الاساسية اغراء كبار المسئولين يشتى السبل على افشاء الاسرار ثم ابلاغ الجستابو بكل المعلومات التى يحصلن عليها.

لم يكن شلنبرج من ذلك النوع من الرجال الذى يقبل انصاف الحلول ولذلك قام بتطوير الاوامر الصادرة اليه بحيث يؤسس شبكة كبرى لجمع

كافة اشكال المعلومات.. وبدلا من الاتفاق مع بعض الفتيات من بنات الهوى على العمل لحسابه قرر ان يكون هناك بيت للمتعة على ارقى مستوى يكون تابعا بالكامل لجهاز الامن الالمانى

وبالفعل ، قام شلنبرنج بانتقاء مجموعة من اجمل الفتيات فى عالم المتعة والرذيلة ووضع برنامجا تدريبيا مكثفا لهؤلاء الفتيات أصبحن بعده على درجة عالية من البراعة فى الحديث واستدراج الاخرين لكشف كل مافى عقولهم من معلومات واسرار.

ولم يترك شلنبرج شيئا للصدفة، فقد توقع ان تنسى اى واحدة جزءا من المعلومات التى تسمعها ولذلك وضع اجهزة تصنت فى مختلف غرف «قصر المتعة» الذى اعده فى احد احياء برلين الراقية.. وتم تجهيز بدروم القصر كغرفة للعمليات وتسجيل ومراقبة الاحاديث التى تدور فى غرف النوم بالقصر.

وقد لعبت الصدفة دورا كبيرا فى اختيار موقع قصر المتعة والسيدة التى قدر لها ان تحمل العملية كلها اسمها وهى مدام كيتى..

كانت كيتى شميت في السابعة والخمسين من عمرها.. وكانت تدير احد البنسيونات وتستخدمه كيتى للرذيلة ولكن على مستوى فاخر بحيث لا يتعامل الامع الاثرياء وكبار الشخصيات في المجتمع الالمانى كان الثمن الذى يدفعه أى زبون لمدام كيتى باهظا ولكنها كانت تؤكد ان «الخدمة» التى تقدمها تستحق اكثر من ذلك لانها تستخدم اجمل الفتيات المتعلمات ولاتسبب اى مشاكل لزبائنها.

ومع بداية تولى هتلر للسلطة فى برلين، تعرضت مدام كيتى للمتاعب فى عملها.. فقد اصبح غالبية المترددين على بيت المتعة الذى تديره من الضباط النازيين الذين حلوا محل زبائنها الاثرياء من رجال اليهود وكبار الشخصيات..

والى جانب ذلك تصاعدت مضايقات البوليس لمدام كيتى حيث اصبح منزلها يتعرض لمداهمات منتظمة.

واحست مدام كيتى بالخطر، وادركت انه لم يعد مكان فى برلين وبدأت تعد عدتها للرحيل فحولت أموالها الى لندن مع بعض معارفها من اليهود الذين هربوا من المانيا النازية.. وبحلول عام ١٩٣٩، كانت كيتى قد تمكنت بالفعل من تحويل عشرات الالوف من الجنيهات الاسترلينية إلى بريطانيا..

فى يوم ٢٨ يونيو ١٩٣٩، غادرت مدام كيتى برلين فى طريقها الى لندن ووصلت بالفعل الى الحدود الالمانية الهولندية ولكن عملاء الجستابو، كانوا يقتفون اثرها والقوا القبض عليها وأعادوها مرة اخرى الى برلين..وبالتحديد الى مقر البوليس السياسى الرهيب فى البرشت شتراسى.. وهناك، كان شلنبرج فى انتظارها ومعه ملف ضخم يتضمن مستندات واوراق تثبت الجرائم التى ارتكبتها مدام كيتى من وجهة نظر النظام النازى.

وقد شملت هذه الجرائم مساعدة اليهود على الهرب وتهريب المارك الالمانى فى السوق السوداء وتهريب الاموال الى الخارج ومحاولة مغادرة الاراضى الالمانية دون تصريح.

واستخدم جواز سفر مزيف.. وكانت عقوبة هذه التهم هى الاعدام او السجن مدى الحياة على احسن تقدير..

وبعد أن قرأ لها رئيس الجستابو قائمة الاتهامات والعقوبة التى تنتظرها. ارتعدت فرائص مدام كيتى واخذت تبكى بحرقة وهى على وشك الأنهيار..

وفجأة تحدث شلنبرج بصوت يشبه فحيح الافعى قائلا «ان فرصتك فى النجاة شبه معدومة.. الا اذا..» وهنا نهضت مدام كيتى تتوسل اليه ان يطلب منها اى شىء فازاحها بعيدا واستمر فى حديثه الرهيب/: «الا اذا قدمت خدمة جليلة للرايخ الثالث.. ففى هذه الحالة قد يكون بأمكانى مساعدتك».

لم يكن امام مدام كيتى اى خيار سوى الخضوع الكامل ولم تجد ما تقوله سوى.. انا تحت امركم» وهنا طرح عليها شلنبرج فكرته الجهنمية بعد ان جعلها توقع على اوراق ومستندات تجعلها تحت رحمته الى الابد..

وقال لها شلنبرج.. سوف تواصلين عملك المعتاد وسوف تقدم لك كل التسهيلات بشرط ان يتم هذا العمل تحت اشراف الجستابو وغيره من الاجهزة الامنية الالمانية.

وفى اليوم التالى مباشرة، بدأ العمال فى تجديد «بيت المتعة» فى جيسبر يخت شتراس وتم تغيير الاثاث بالكامل وعمل خبراء الديكور على تحويله الى مكان فاخر يليق بالشخصيات التى ستتردد عليه.

وفى نفس الوقت، قام الخبراء الالمان بتركيب ميكروفات واجهزة تصنت فى جميع انحاء البيت الكبير وخاصة الدور الثالث حيث تقع غرف النوم.. وخارج المبنى كان هناك مركز مراقبة فى بيت مجاور بالاضافة الى مركز المراقبة الاساسى فى بدروم القصر.. وتم توصيل المركزين بالكامل لنقل كل الاحداث التى تقع بالداخل فى نفس الوقت الى مجموعة المراقبة الخارجية..

وفى نفس الوقت قام احد كبار المسئولين فى الجستابو وهو كارل شفارتز بمهمة اخر تمثل الشق الثانى من الخطة .. وكانت هذه المهمة هى البحث عن عشرين فتاة على اعلى مستوى من الجمال والثقافة للعمل مع مدام كيتى فى جمع المعلومات والاسرار.. ومن اجل تحقيق هذا الهدف، شنت شرطة الاداب الالمانية عدة حملات على بيوت الدعارة والملاهى الليلية فى جميع انحاء المانيا والقت القبض المئات من بنات الهوى الفاتنات.

وتم تشكيل لجنة اختبار من علماء النفس والاطباء وخبراء التجميل واساتذة الجامعات واساتذة اللغات لاختيار عشرين فتاة فقط من بين هذا العدد الكبير من الفتيات.. وخلال سبعة ايام متتالية من الاختبارات والفحوصات.. وقع الاختيار بالفعل على العدد المطلوب.. وتم نقل الفتيات العشرين الى احد المعسكرات التابعة للقوات المسلحة الالمانية وهو بالتحديد مقر الكلية الحربية التى يتخرج منها ضباط الجيش النازى.. واحيط المكان بالسرية الكاملة لكى يتم بداخله تدريب الفتيات على المهمة الخطيرة التى سيقمن بتنفيذها.. وشمل التدريب تعلم اللغات الاجنبية..

وفنون الدفاع عن النفس والقتال المتراكم والشئون السياسية وجمع المعلومات وارسال الرسائل بالشفرة والاقتصاد وغيرها من المعارف التى تجعل صاحبها على درجة عالية من الثقافة.

بعد ذلك انتقلت الفتيات الى مرحلة التدريب على ايدى خبراء من الاذاعة والصحافة ليتعلمن كيفية استدراج الضيف للحديث وكشف مالديه من اسرار مهما بلغت درجة الحرص لديهم..

وفى شهر مارس عام ١٩٤٠، اصبح كل شىء على اهمية الاستعداد لبدء عملية مدام كيتى..

واجتمع شفارتز بمدام كيتى والفتيات العشرين ليضع لهن اللمسات الاخيرة لادوارهن.. وقال لمدام كيتى انها ستمارس عملها كالمعتاد وسوف تستخدم فتيات عاديات من بنات الليل بالنسبة للزبائن الذين لايهتم بهم الجستابو.. اما فى حالة وصول زبون هام فعليها ان تعرض عليه البوما خاصا به صور العشرين فتاة اللواتى تم تدريبهن وعندما يقع اختياره على واحدة منهن، فما عليها سوى الاتصال برقم تليفون معين وسوف تصل اليها خلال عشر دقائق.

واكد شفارتز لمدام كيتى انه سيتم ارسال بعض الاشخاص اليها بهدف استدراجهم للحديث وفى هذه الحالة يجب ان تقدم لهم افضل الفتيات المدربات لديها وقال لها ان هؤلاء الاشخاص سوف يصلون اليها ومعهم كلمة السر المتفق عليها وهى «انا قادم من روتنبرج» وبمجرد ان تتعرف عليهم يجب

ان تقدم لهم كل التسهيلات وتحصل منهم على كل الاسرار والمعلومات الممكنة قبل ان يغادروا بيت المتعة..

وبعد اسبوعين ، تم اجراء اختبار على فاعلية فتيات مدام كيتى.. ووصل الى بيت المتعة ضابط المانى شاب وسرعان ماتلقفته احدى الفتيات فى البداية اخذ الضابط الشاب يثرثر على اسرته واقاربه ولكن الفتاة تمكنت فى النهاية من استدراجه للحديث عن الاسرار الخطيرة واذابه يكشف لها ان هتلر يفكر فى الهجوم على السويد.. ورغم ان هذا الضابط قدم بعد ذلك الى محكمة عسكرية الا ان قادة الجستابو كانوا فى غاية السعادة لنجاح خطة مدام كيتى وتأكد أن فاعليتها.. رويدا رويدا اصبح قصر المتعة يعمل ٢٤ ساعة فى اليوم ويستقبل اهم الشخصيات من داخل المانيا وخارجها.. واضطر الجستابو لمضاعفة كميات الطعام والشراب التى كان يرسلها بانتظام الى مدام كيتى.

وخلال عام ١٩٤٠، بلغ عدد زبائن مدام كيتى اكثر من عشرة آلاف شخص. وذات يوم فوجىء الخبراء الالمان المسئولون عن التصنت على غرف النوم فى قصر المتعة بوجود الكونت جاليا زو سيانو وزير خارجية ايطاليا مع احدى الفتيات التى استخدمت كل امكانياتها وخبراتها لاغرائه على الحديث وفك عقدة لسانه.. وبعد فترة قصيرة، بدأ وزير الخارجية الايطالى يهاجم ادولف هتلر بقسوة ويصفه بأنه رجل فاشل كعسكرى وسياسى وكعاشق ايضا.. وعندما قدم رئيس الجستابو تسجيل هذا الحديث للزعيم النازى أنفجر غضبه وتدهورت العلاقات بين المانيا وايطاليا لدرجة انها لم تعد ابدا كما كانت من قبل.

وفى شهر سبتمبر تم استدعاء شلنبرج بنفسه الى صالون مدام كيتى مع زميله دون رامن سيرانو وزير خارجية اسبانيا.. وتم تسجيل معلومات خطيرة قالها وزير الخارجية الاسبانى للفتاة التى رافقته الى الدور الثالث بقصر مدام كيتى منها ان اسبانيا لديها خطة لاحتلال جبل طارق.. وتم ابلاغ هايزيش هيملر قائد فرق العاصفة (اس. اس) لاحباط هذه الخطة.

وكان من بين المترددين على قصر المتعة ايضا الجنرال تزيب ديتريش قائد الحرس الخاص لهتلر الذى لم يشرثر بايه اسرار ولكنه تسبب في مشاكل من نوع آخر عندما اصر على طلب غريب هو ان تحضر اليه جميع الفتيات اللاتى شاهد صورهن فى الالبوم وعددهم عشرين فتاة دفعه واحدة وبذل الجميع جهدا هائلا لتلبية طلب قائد حرس هتلر الذى اذهل خبراء التصنت فى مركز المراقبة بقوته الغريبة.

ولم يحدث اى خطأ فى الخطة سوى مرة واحدة عندما حضر الى قصر مدام كيتى جندى بسيط كان بالفعل من مدينة جوتنبرج وقال انه قادم من جوتنبرج وتم عمل كل التسهيلات ولكن اتضح فى النهاية ان هذا الجندى ليس لديه اى معلومات او اسرار وانه مجرد انسان محظوظ قدر له ان يقضى ليلة رائعة فى قصر المتعة.

وكانت كل اجهزة التصنت والمراقبة يتم اغلاقها فى حالة واحدة فقط هى زيارة رينهارد ديتريش رئيس الجستابو بنفسه لقصر مدام كيتى فيما كان يوصف بأنه جولة تفتيشية.. وكانت الاوامر تقضى بأنه فى هذه الحالة لايسمح بأى تسجيل لما يدور داخل قصر المتعة بل وان يمتنع الخبراء عن

اى محاولة لسماع الاحاديث التى تدور فى القصر حتى يغادره رئيس الجستابو.

والغريب ان الالمان لم يكونوا وحدهم الذين يتابعون مايجرى فى قصر مدام كيتى.. ففى اواخر عام ١٩٤٠ كان ليوبو كولشيف وهو سكرتير صحفى بالسفارة الرومانية فى برلين يسير بالصدفة فى شارع جيبريتش شتراس عندما تعثر فى كابل من السلك وكاد يسقط على الارض لولا ان تدخل شرطى سرى لانقاذه..

لم تكن لدى الالمان اى فكرة عن حقيقة شخصية كولشيف الذى كان فى الواقع هو الجاسوس البريطانى روجر ويلسون..

كان هذا الجاسوس البارع قد سمع الكثير والكثير عن الاساطير الخاصة بقصر مدام كيتى فقرر التوجه الى شارع جيسبريتش شتراس لمعاينة موقع القصر ومحاولة معرفة اى شئ عما يدور بداخله.. وعندما تعثر عن عمد في الكابل الموجود امام القصر وشاهد بنفسه رجال الجستابو يحومون حول المنطقة تأكد من خطورة ما يجرى في الداخل وخاصة بعد ان لاحظ وجود قادة الجستابو بأنفسهم فى اوقات معينة بالمنطقة.. وقام روجر ويلسون بابلاغ السلطات البريطانية بمعلوماته عن قصر مدام كيتى وصدرت اليه الاوامر من لندن بالاستمرار فى مراقبة القصر دون اثارة اى شبهات من جانب البوليس السياسى الالمانى.

وهكذا، أصبح الجاسوس البريطانى زبونا مستديما فى قصر المتعة حيث

كان يفتح عينيه واذنيه لالتقاط كل تفاصيل مايدور داخل القصر.. وبعد فترة اصطحب روجر ويلسون معه احد خبراء الاتصالات الى القصر وقام هذا الخبير بعمل توصيلة من الكابل الذى ينقل للجستابو مايدور داخل القصر، دون ان يشعر به احد.. وأصبحت كل المعلومات التى يحصل عليها البوليس السياسى الالمانى متوافرة لدى جهات الامن والمخابرات البريطانية ايضا.

وخلال الفترة من ديسمبر ١٩٤٠ وحتى عام ١٩٤٣ الذى تم فيه اغلاق القصر وانهاء عملية مدام كيتى، كان الحلفاء يحصلون على قدر كبير من الاسرار التى تتردد داخل جدران القصر.. ومع تزايد قصف الحلفاء لبرلين فى المراحل الاخيرة من الحرب العالمية الثانية انخفض عدد الشخصيات الهامة التى تزور قصر مدام كيتى وبدأ رئيس الجستابو هايدريتش يستغل قصر المتعة فى صراعات داخلية من اجل تصفية خصومه ومنافسيه فى النظام النازى.. وهكذا، بدأ النظام الصارم الذى عرف به قصر مدام كيتى يختل ويتحول الى نوع من الاسترخاء..واخذت الفتيات المدربات على صيد المعلومات والاسرار ينغمسن فى شرب الخمر الذى كان امرا محظورا تماما خلال العصر الذهبى لعصر المتعة.

وفى يوليو ١٩٤٤، سقطت قنبلة مباشرة على قصر مدام كيتى فدمرته وبعثرت أشلاءه مما دفع قادة الجستابو الى ارسال فرقة من رجالهم لجمع ما يمكن ان يكشف عمليات التصنت التى كانت تجرى داخل القصر.. وبعد ذلك تقرر استمرار عمل مدام كيتى من الدور الاول للقصر الذى لم تدمره قنابل الحلفاء. وخلال عام انتهى كل شىء تماما بالنسبة لقصر المتعة..

وقرر الجستابو تسليم القصر بالكامل لمدام كيتى تديره كما تشاء واتخذت معظم الفتيات قرارا بأرادتهن بالاستمرار فى العمل مع مدام كيتى التى تعهدت للجستابو بعدم كشف اى اسرار قد تكون اطلعت عليها خلال المهمة التى قامت بها لحساب البوليس السياسى الالمانى. والتزمت مدام كيتى بهذا التعهد حتى وفاتها فى عام ١٩٥٤، بعد أن بلغ عمرها ٧١ عاما وفى عام ١٩٤٥ تم اعتقال والترشلنبرج مهندس عملية مدام كيتى ولكن الحلفاء فشلوا فى الوصول الى التسجيلات التى قام بها الجستابو خلال عمل مدام كيتى والتى بلغ عددها ٢٥ شريطا..

فقد اختفت هذه الشرائط من ملفات الجستابو عندما دخلت القوات الروسية برلين التى أصابها الدمار الكامل فى الحرب العالمية الثانية.

وحتى اليوم، مازال السؤال الحائر يتردد. هل ما زالت هذه التسجيلات موجودة؟ والأجابة لا يمكن التوصل اليها على وجه اليقين.. **ولكن فى عام ١٩٦٣، قال احد الكتاب ان هذه الشرائط موجودة بالكامل فى احدى الغرف السرية بالمركز الرئيسى للبوليس السياسى فى المانيا الشرقية المعروفة ببرلين الشرقية وبعد سقوط المانيا الشرقية وتوحيد شطرى المانيا لم يعد يعرف أين اختفت شرائط العار التى اصبحت لغزا جديدا من ألغاز التاريخ.**

٩ الفنان المحتال والخطة الجهنمية !!

" ولو كانت اللوحة مجرد عمل فنى إبداعى عادى لهان الأمر، ولكنها أشهر واعرق وأعظم مارسمته ريشة فنان عبقرى ملهم، وسرقتها تعنى الهجوم على التراث الإنسانى العالمى كله !!

"

● **لايمكن لأى محتال محترف أن يمارس أى شكل آخر من أشكال الجريمة.. فهو ينظر الى نفسه على انه فنان مبدع لا يقبل تصنيفه بين القتلة واللصوص وتجار المخدرات !!**

والمحتال بطبيعته شخص هادىء.. أعصابه دائما فى ثلاجة.. يكره العنف ويجب ان يمارس نشاطه بمتعة الهواة وليس جشع المحترفين.. وفى بعض الأحيان، تتطلب عملية الاحتيال الاستعانة بلص محترف لتنفيذ شق محدد منها لايمكن للمحتال ان يقوم به بنفسه.. وفى هذه الحالة يبحث المحتال عن لص بمواصفات خاصة ويحدد له دوره بمنتهى الدقة ثم يبتعد عنه تماماً بعد نجاح العملية.

والمحتال الفرنسى الشهير إيف شودرون نموذج لهذا الطراز من المحتالين.. فهو فنان صاحب موهبة حقيقية فى فن الرسم، وقد بذل جهدا هائلا لتحقيق النجاح فى هذا المجال ولكن كل جهوده باءت بالفشل مما أدى لإصابته بالإحباط. وكان قراره الأخير هو استغلال هذا الموهبة فى عالم الظلام بعد أن فشل فى دنيا النور. ودخل شودرون من بوابة اسمها تزييف اللوحات الفنية الشهيرة وبيعها لهواة اقتناء هذه اللوحات الذين تسيطر عليهم الرغبة فى الاستحواذ وحدهم على كل شىء جميل فى هذا العالم والاحتفاظ به فى غرف سرية داخل خزائن حديدية والتلذذ بحرمان الآخرين من التمتع بهذا الجمال ولو من خلال نظرة عابرة فى أحد المتاحف العامة..

وقد بلغت براعة شودرون فى تقليد لوحات كبار الفنانين العالميين حد فشل بعض الخبراء فى التمييز بين اللوحة الأصلية وتلك المقلدة التى يرسمها شودرون وذات يوم التقى شودرون بسمسار لوحات فنية أبلغه باعجاب أحداً صحاب الملايين بلوحة فنية نادرة فى أحد معارض التحف بأمريكا اللاتينية وقال السمسار إن المليونير مستعد لدفع أى مبلغ مقابل هذه اللوحة بشرط أن يتأكد بنفسه أنها أصلية.. كان شودرون فى حاجة ماسة للنقود، فأخذ يقدح زناد فكره من أجل رسم خطة محكمة للاستيلاء على هذه اللوحة النادرة وبيعها للمليونير.. ومن خلال المعلومات التى جمعها عن هذا المليونير ، تأكد انه شخص شديد الحرص ولايثق فى أحد إلا فى نفسه ولذلك فإن أى محاولة لخداعه لن تكون سهلة.. وعلى الجانب الآخر تأكد شودرون أن المعرض الذى توجد به اللوحة فى أمريكا الجنوبية يصعب أو يستحيل اختراقه حيث توجد إجراءات أمنية رهيبة تحول دون سرقة أى عمل من الأعمال المعروضة وصلت الى درجة عدم السماح للزوار بمغادرة المكان قبل التأكد من أن كل قطعة فنية فى مكانها.

وأدرك شودرون سر لجوء السمسار إليه كمحتال ومزيف لوحات بدلا من اللجوء الى لص محترف. ومن هذه النقطة بدأ خطته التى أثارت حيرة العالم بأسره..

كانت خطة شودرون تقوم على أساس تقديم لوحة مقلدة غير أصلية للمليونير دون أن يراوده أدنى شك فى أن هذه اللوحة هى الأصلية!! وتطلبت الخطة الاستعانة بلص خفيف اليد يستطيع أن يؤدى دورا حاسما لمدة ١٥ ثانية فقط دون أن يلحظه أحد.

وهكذا: توجه شودرون الى لص إيطالى شهير يدعى فنسترو بدروجيا لم يكن بعيدا عن عالم اللوحات الفنية والتحف النادرة حيث عمل من قبل فى قسم الصيانة الهندسية بمتحف اللوفر فى باريس.

واصطحب شودرون زميله اللص الإيطالى الى أمريكا الجنوبية حيث قاما بزيارة للمعرض الذى توجد به اللوحة المطلوب سرقتها.. وعن طريق بعض المستندات المزورة نجحا فى إقناع المسئولين عن المعرض بأنهما من خبراء اللوحات الفنية ويرغبان فى فحص هذه اللوحة بالتحديد. وسمح لهما المسئولون بذلك مطمئنين الى اجراءات الأمن لديهم.

كان شودرون وفنسترو لهما قد أعدا لوحة مقلدة للوحة المطلوب سرقتها وبنفس مقاسات الإطار الذى يحيط بها. وخلال ثوان محدودة، كان اللص البارع فنسترو قد قام بلصق اللوحة المقلدة على ظهر اللوحة الأصلية وتمت عملية اللصق بدقة بحيث لم يظهر أثر للوحة المقلدة بجانب أن أى شخص يساوره الشك سيقوم بفحص واجهة اللوحة وليس ظهرها..

وبعد أيام حضر المحتال واللص ومعهما المليونير الى المعرض بحجة مواصلة فحص اللوحة الرائعة وطلبا من المليونير أن يوقع بنفسه على ظهر اللوحة التى يريد الحصول عليها. ووقع الرجل بالفعل دون أن يدرى أنه يوقع على اللوحة المقلدة التى تم لصقها على ظهر اللوحة الأصلية وانصرف الثلاثة بعد أن تأكد المسئولون بالمعرض أن لوحتهم فى مكانها لم يمسها سوء.

وفى اليوم التالى حضر شودرون وزميله فنسترو الى المعرض للمرة

الثالثة والأخيرة وقدم لهما المسئولون اللوحة كالعاده لدراستها .. وفى هذه المرة: نزع فنسترو اللوحة المقلدة التى وقع عليها المليونير من على ظهر اللوحة الأصلية التى قاما بتسليمها للمسئولين فى المعرض دون أن تُمَس.

وذهب المحتال واللص الى المليونير وقدما له اللوحة المقلدة التى وقع بنفسه على ظهرها باعتبارها اللوحة الأصلية. ولم تساور المليونير أى شكوك لسبب بسيط وجوهرى هو توقيعه الصحيح الموجود عليها.. وأكد شودرون وفنسترو للمليونير انهماوضعا لوحة مزيفة فى المعرض بدلا من اللوحة الأصلية التى سرقاها!!

واقتنع الرجل بذلك خاصة بعد أن سرب شودرون خبرا كاذبا لإحدى الصحف الصغيرة يؤكد سرقة اللوحة الأصلية من المعرض. وأشارت الصحيفة، بإيعاز من المحتال الى أن الشرطة وضعت لوحة مقلدة مكان اللوحة المسروقة حتى تحول دون انفجار موجة من الغضب الشعبى اذا عرف الرأى العام أن اللوحة الأصلية قد سرقت!!

وهكذا، وعن طريق هذه الخطة الجهنمية، اقتنع المليونير أن اللوحة التى لديه هى الأصلية ودفع للمحتال الدولى نصف مليون دولار ثمنا للوحة هى فى واقع الأمر مقلدة ،ومزيفة!!

ونجح المحتال شودرون وزميله اللص فنسترو فى الهروب من العدالة لأن أحد لم يتقدم بشكوى ضدهما.. لا معرض التحف والأنتيكات فى أمريكا الجنوبية.. ولا المليونير الساذج الذى لم يكتشف عملية النصب التى كان ضحية لها إلا بعد سنوات عندما اعترف شودرون نفسه بتفاصيل العملية التى تفتق عنها ذهنه العبقرى فى الاحتيال.

ولقد كانت أبرع العمليات التى قام بها شودرون هى تلك التى نفذها فى باريس يوم ٢١ أغسطس عام ١٩١١ ومعه مساعده اللص فنسترو بيروجيا ولص ثالث يدعى إدواردو دى فالفيرنو.

تمت هذه العملية بالتحديد فى متحف اللوفر الشهير بالعاصمة الفرنسية وكان هدفها هو الإستيلاء على واحدة من أروع التحف الفنية فى التاريخ وهى لوحة الموناليزا أو الجيوكندا الشهيرة ذات الابتسامة الغامضة والتى أبدعها فنان عصر النهضة ليوناردو دافنشى.

ولقد كانت عملية سرقة هذه اللوحة هى مجرد جزء من مؤامرة احتيال كبرى استغل فيها المحتال إيف شودرون كل قدراته الفنية وإلاجرامية أيضا لكى يحقق هذه «الخبطة» التى وضعت اسمه عن جدارة على رأس قائمة أشهر وأخطر المحتالين فى العالم.

كانت خطة شودرون ببساطة تقضى باختفاء أفراد العصابة الثلاثة فى بدروم متحف اللوفر حتى يخيم الظلام.. وقد استغل شودرون مساعده فنشترو الذى كان يعمل من قبل فى اقسام الصيانة باللوفر من أجل أن يقدم له كل المعلومات التى يحتاجها حول نظام الأمن بالمتحف والمداخل والمخارج التى يمكن استخدامها خلال عملية السطو على اللوحة.وبالإضافة الى ذلك: فإن فنشترو كان على دراية واسعةبكل ما يتعلق بلوحة الموناليزا بالتحديد فى متحف اللوفر لأنه شارك بنفسه فى تركيب الزجاج الواقى فوق اللوحة عند وضعها فى مكانها البارز الذى تستحقه بالمتحف.

وقد نجحت خطة شودرون وخرج مع مساعديه من مكمنهم فى الظلام واستولوا على الموناليزا ثم غادروا متحف اللوفر دون أن يكشفهم أحد..

وكانت خطة شودرون هذه المرة تقضى بأن تكتشف الشرطة سرقة اللوحة فى الصباح حتى يتأكد الجميع من حقيقة أن اللوحة التى بحوزتهم هى بالفعل اللوحة الاصلية.

وبعد أيام قليله، قرر شودرون أن يطرق الحديد وهو ساخن وأن يستثمر الضجة الكبرى التى اجتاحت العالم فى ذلك الحين بسبب سرقة هذا العمل الفنى الهام الذى يستحيل أن يتكرر.

واتصل المحتال بمليونير أمريكى معروف بولعه الشديد بالتحف واللوحات الفنية.. وكان هذا المليونير مفتونا بشكل خاص بالموناليزا لدرجة أنه كان يسافر كل عام الى باريس عدة مرات لكى يتمتع بمشاهدتها فى متحف اللوفر..

وسال نعاب المليونير عاشق التحف عندما أبلغه شودرون أن لوحة الموناليزا المسروقة من متحف اللوفر موجودة لديه وأنه مستعد لبيعها مقابل مبلغ تافه يقدر بمليون دولار!!

لم يستطع المليونير الأمريكى مقاومة إغراء فكرة أن تكون الموناليزا ملكه وحده لذلك لم يساوم شودرون وأبلغه بموافقته الفورية على دفع المبلغ دون حتى أن يتخذ الضمانات الكافية للتأكد من انها اللوحة الأصلية. وكان سبب ذلك هو براعة شودرون فى إقناع المليونير بصدقه لدرجة أنه كشف له تفاصيل عملية السطو على متحف اللوفر وكيفية الاستيلاء على اللوحة والخروج بها من المتحف. وإلى جانب ذلك لم يكن هناك حديث فى الصحف ووسائل الأعلام ودوائر المهتمين بالفنون إلا عن سرقة الموناليزا مما خلق مناخا يصعب خلاله الشك فى رواية مزيف لوحات قدير ومحتال خطير مثل شودرون..

وفى مواجهة كل هذه اللهفة التى أبداها المليونير الأمريكى على شراء اللوحة المسروقة قرر شودرون أن يطور خطته فى أكثر من اتجاه أكبر ربح ممكن فاتصل بخمسة آخرين من أصحاب الملايين الأمريكيين الذين يعشقون التحف الفنية وعرض عليهم أيضا شراء لوحة الموناليزا.. وأبدى كل واحد منهم استعداده لدفع مليون دولار ثمنا للوحة ومن أجل أن تكون له وحده ويحرم الآخرين منها.

وهنا تحركت مشاعر الفنان داخل شودرون وقرر ألا يحصل أى من أصحاب الملايين الستة على اللوحة الأصلية وأن يدفعوا ثمن جشعهم وأنانيتهم .. لذلك شرع على الفور في رسم ٦ نسخ طبق الأصل من لوحة الموناليزا واستغرق ذلك منه بعض الوقت ولكن حجته كانت دائما للرد على أى استعجال من جانب المشترين المتلهفين وهى ضرورة الانتظار حتى تهدأ الضجة المثارة حول عملية السرقة ويفتر حماس الشرطة بعد أن تفقد الأمل فى امكانية القبض على اللصوص.

وعندما انتهى من إعداد النسخ الست المزيفة، اتصل بكل واحد من المليونيرات الستة على حدة وقدم له إحدى اللوحات المزيفة على أنها اللوحة الأصلية طالبا منه أن يكتم السر وألا يتحدث لمخلوق عن «الصفقة الرابحة» التى أبرمها والتى أتاحت له أن ينفرد بامتلاك الموناليزا.. وفى نفس الوقت، كان كل واحد من المليونيرات الستة يدرك جيدا ان إعلان امتلاكه للموناليزا الاصلية لن يكون فى صالحه لسببين أساسيين.. الأول أنه سيضعه تحت طائلة القانون بتهمة حيازة اللوحة رغم علمه بأنها

مسروقة . والسبب الثانى هو ان اللوحة ستنتزع منه فى هذه الحالة ويكون قد خسر المليون دولار والموناليزا فى وقت واحد.. وفى حالة اكتشاف أن اللوحة غير أصلية ، لن يكون بوسعه أيضا إبلاغ الشرطة لأن ذلك سيؤدى الى تدمير سمعته وجعله موضعا لسخرية العالم.

وهكذا، تأكد المحتال شودرون أنه نفذ بالفعل الجريمة الكاملة وأن أحدا لن يستطيع الوصول إليه أو معاقبته على جريمة السرقة والاحتيال.

وقد غادر شودرون ومساعده اللص فنشترو بيروجيا الولايات المتحدة بعد إتمام الصفقة وبعد أن حصلا على ستة ملايين دولار ولوحة الموناليزا الأصلية أيضا..

وكان شودرون أو بمعنى أصح الفنان الحقيقى بداخله يكن إعجابا هائلا للوحة الموناليزا.. كما كان يخرجها من المكان الذى خبأها فيه ليظل أياما عديدة ينظر اليها ويستمتع بعبقرية ليوناردو دافنشى التى أبدعت كل هذا الجمال.. وعندما كان زميله اللص يلح عليه فى بيعها للاستفادة من ثمنها والتخلص من اللوحة والاحتفاظ بها لأطول فترة ممكنة..

وبدأ الخلاف يحتدم بين المحتال الفنان واللص الداهية حول هذه النقطة، خاصة أن فنشترو بيروجيا كان يريد التقاعد عن السرقة وبدء مشروع نظيف يكون رأسماله حصته من ثمن الموناليزا الأصلية ولكن شودرون لم يكن راغبا فى التخلص من اللوحة لأنه كفنان كان يدرك قيمتها التى لا تقدر بثمن كان مؤمنا بأن الاحتفاظ بها والتمتع بجمالها مكسب هائل لا تعوضه أموال الدنيا كلها..

ووصلت الأمور الى حد تفكير شودرون فى إعادة اللوحة الى مكانها فى متحف اللوفر حتى يتمتع بها الجميع بما فيهم هو نفسه خاصة وأنه كان على ثقة من أن بيعها الى أحد أصحاب الملايين من هواة التحف الفنية كان سيحرم عشاق الجمال والفن فى جميع أنحاء العالم من أى فرصة لمشاهدتها، ولو لدقائق معدودة، الى الأبد..

وغنى عن القول أن شخصية اللص فنشترو بيروجيا كانت من المستحيل أن تستوعب شودرون إزاء لوحة الموناليزا.. فقد كان فنشترو، كلص محترف ينظر الى اللوحة الرائعة على أنها مجرد شىء مسروق يتعين بيعه فى أسرع وقت ممكن للاستفادة بثمنه والتخلص منه كدليل على جريمة السرقة.

وذات ليلة اتخذ فنشترو قراره الأخير.. وقام بسرقة اللوحة من زميله المحتال شودرون ليقوم ببيعها رغم أنفه بحيث يستولى على ثمنها وحده أو حتى يعطى شودرون نصيبه إذا رغب فى ذلك.. وأخذ اللص لوحة الموناليزا الأصلية وسافر بها الى بلده إيطاليا لبيعها هناك ولكن لحظه العاثر وغبائه الشديد وقع فى يد الشرطة بعد أن أخذ يثرثر وسط رفاقه اللصوص بأن اللوحة الشهيرة لديه وأنه يبحث عن زبون ثرى يمكن أن يشتريها فتنكر أحد رجال الشرطة فى هيئة مليونير من عشاق التحف واللوحات وعرض على فنشترو أن يشتريها منه وتم عمل كمين سقط خلاله اللص واللوحة فى أيدى الشرطة الإيطالية.. واعترف اللص فنشترو بالتفصيل عن العديد من العمليات التى ساعد فيها المحتال شودرون بما فى ذلك عملية سرقة

الموناليزا وبيع نسخ مقلدة منها لستة من أصحاب الملايين الأمريكيين.. وتم القبض على شودرون أيضا حيث حُكِمَ على اللص والمحتال بالسجن.

أما لوحة الموناليزا الأصلية، فقد عادت الى مكانها في متحف اللوفر الفرنسى ومازالت هناك حتى اليوم حيث تعرض وراء لوح من الزجاج السميك وتحيط بها أجهزة إنذار ضد السرقة لحمايتها من أى محاولة للاستيلاء عليها.

إن سرقة لوحة الموناليزا فى أغسطس عام ١٩١١، لم تكن هى المرة الأولى التى يتعرض فيها متحف اللوفر العريق لفقدان إحدى مقتنياته الثمينة.. ففى عام ١٩٠٣، فجر فنان فرنسى قضية كبرى عندما زعم أنه صاحب إحدى المقتنيات التى لاتقدر بثمن فى متحف اللوفر وهى تمثال نصفى عليه غطاء رأس ذهبى يطلق عليه اسم «تيارا» يعد اعجوبة فنية. وقال هذا الفنان إنه المبدع الحقيقى لهذه التحفة التاريخية التى يفخر بها اللوفر .. وقد تأكد الخبراء بعد فحص دقيق أن التحفة المعروضة هى بالفعل غير أصلية بل مجرد نسخة مقلدة.

وفى نفس الوقت ، لم يكن هذا الفنان الفرنسى هو صاحب حتى النسخة المقلدة التى كانت فى الحقيقة من صنع جواهرجى روسى يدعى إسرائيل روشوموسكى.. فعندما وصلت أنباء الضجة التى أثارها الفنان الفرنسى حول « تيارا» المعروضة فى اللوفر، رفض الجواهرجى الروسى الفنان أن تنسب هذه التحفة لشخص آخر بينما هو صاحبها الأصلى..

ولكى يثبت صدقه. قام الجواهرجى الروسى العجوز بتقديم

التصميمات الأصلية التى وضعها بنفسه قبل صناعة «التيارا» لتكون نسخة طبق الاصل من التحفة الاصلية التى صنعها منذ ثمانى سنوات بل والأكثر من ذلك، **أنه بدأ العمل على الفور فى نسخة أخرى من التيارا كانت نموذجا دقيقا لا يمكن لأى خبير تمييزه عن النسخة الأخرى التى يفخر متحف اللوفر باقتنائها وكان ذلك دليلا أكيدا على أن التيارا الموجودة فى اللوفر هى الأخرى مجرد نسخة أبدعها فنان ربما لا يقل موهبة عن الفنان الأصلى ولكن اختلاف الظروف جعل منه مجرد مزيف ومحتال خارج على القانون.**

ألقاب ملكية للبيع!!
١٠ أو النصب على الطريقة الارستقراطية

وهكذا استطاع صاحبنا المحتال الأعظم أن يضع تسعيرة لكل لقب ارستقراطي.. مع الوقت أصبحت هناك أسعار فلكية للدخول إلى عالم النبلاء.. وأصحاب الدماء الزرقاء

● لكل محتال هدفه الذى يسعى إليه.. بعضهم يحلم بالثراء.. والبعض الآخر بالمركز المرموق.. وهناك أيضا من يريدون فقط تحقيق حلم عجزت كل الطرق المشروعة عن الوصول إليه ولم يعد أمامهم سوى طريق الجريمة.

وعندما يفشل المحتال فى الوصول إلى هدفه، تصبح الحياة لديه بلا معنى وفى هذه الحالة يرفض التنازل عن الحلم ويفضل أن يتنازل حتى عن حياته على أن يعترف بالفشل.. لذلك كثيراً ما انتهت حياة أشهر المحتالين والنصابين بمأساة انسانية للضحايا وللمجرم أيضا وتكون كلمة النهاية عبارة عن كارثة حقيقية للمجنى عليه.. وللجانى أيضا.

المحتال البريطانى ماوندى جريجورى نموذج مستقل وقائم بذاته فى عالم النصب والاحتيال.. فقد عاش حياته بين الملوك والأمراء والنبلاء وكان صاحب سطوة ونفوذ بوسعه أن يرفع من يشاء إلى عنان السماء وأن ينسف أى شخص بمجرد إشارة من أصبعه.. كانت لديه قدرة هائلة على ارهاب أصحاب المناصب الكبرى بما فى ذلك رؤساء الحكومات وتحويلهم إلى أدوات لخدمة أطماعه وأهدافه الشريرة.. ولكن عدالة السماء التى لا تغفل عن الجبابرة والطغاة والمجرمين كانت له بالمرصاد فقضى الأيام الأخيرة من حياته وحيدا مشردا منفيا حتى لفظ أنفاسه الأخيرة فى سطوة النفوذ وبريق السلطة تلك الحقيقة الخالدة التى تؤكد ببساطة عبقرية أن دوام الحال.. من المحال.

ولد جريجورى فى عام ١٨٧٧ بمقاطعة هامبشير البريطانية، وكان هو الابن الأكبر بين ولدين أنجبهما والده الذى كان يعمل كرجل دين. وكان أول عمل يلتحق به جريجورى هو وظيفة مدرس بإحدى المدارس الخاصة فى هامبشير ولكنه لم يجد نفسه فى هذه الوظيفة التى كان ينظر اليها باعتبارها أقل من قدراته ومواهبه. وسرعان ما ترك سلك التدريس واتجه للعمل كممثل مسرحى حيث حقق نجاحا محدودا لعدة سنوات قبل أن يقرر الابتعاد عن التمثيل أيضا والتخصص فى الجانب التجارى أو المالى من النشاط المسرحى.

وهكذا. افتتح فى عام١٩٠٧ مكتبا بشارع شيرنج كروس فى لندن للانتاج المسرحى وادارة المسارح ولكنه لم يحقق نجاحا يذكر وتلقى لطمة عندما قدم مسرحية غنائية وضع فيها كل امكانياته المالية ولكن المسرحية لقيت فشلا ذريعا وأوصلته إلى الافلاس ورغم وصول حالته المالية إلى الدمار الشامل إلا أنه لم يستسلم واتخذ قراره الأخير بأن يواصل أنشطته فى عالم المال والأعمال بشتى السبل والوسائل المشروعة وغير المشروعة.

وكان جريجورى صاحب شخصية ساحرة لبق الحديث.. عذب الكلمات. يوحى بالثقة من أول وهلة لديه القدرة على اكتساب أى شخص إلى صفه خلال ثوان معدودات.

وقد كان جريجورى شديد الوضوح محدد الملامح وهو استغلال النفوذ وشراء الذمم.. لذلك كان من الطبيعى أن يوطد علاقاته بالشخصيات البارزة وأن يقترب إليها بشتى السبل بما فى ذلك الرشوة وشراء الضمائر.

وقد نجح جريجورى بهذه الطريقة فى التقرب من كبار المسئولين وأصبح أحد الشخصيات المعروفة فى بلاط ملك بريطانيا.. ولم ينتظر مرور الوقت حتى وضعه بل انطلق على الفور ليطرق الحديد وهو ساخن فافتتح احدى المجلات وأطلق عليها اسم «هوايت هول مجازين» صم جريدة اسمها «سانت جيمس ريفيو» التى كانت شديدة التطرف جهة اليمين وتنشر أقصى الآراء المحافظة.

وبعد ذلك افتتح جريجورى ناديا خاصا أطلق عليه اسم «امباسادور» فى كوندويت ستريت بلندن. ولم يكتف الرجل بذلك بل اختار أحد المبانى فى شارع البرلمان القريب من داوننج ستريت مقر رئاسة الوزارة البريطانية واستأجر شقة فى هذا المبنى ليستخدمها كمكتب.. وضع عند بال المبنى حارسا خاصا تعمد أن يكون مرتديا ملابس قريبة الشبه من تلك التى يرتديها حرس مقر رئيس وزراء بريطانيا.

من هذه المرحلة، بدأ المحتال الداهية نشاطه الحقيقى وهو اصطياد الأثرياء ذوى الأصول الوضيعة أو الذين ينتمون لعامة الشعب ثم اقناعهم بقدرته على أن يحصل لهم على ألقاب نبيلة وأوسمة ملكية كن جريجورى يؤكد لضحاياه أن الانتماء لطبقة النبلاء ذوى الدماء الزرقاء يساوى الملايين وأن الثراء وحده لا يكفى لكى يكون الانسان ارستقراطيا أو صاحب حيثية فى المجتمع بينما يستطيع اللقب النبيل أن يحقق لصاحبه كل الاحترام ويضعه فى مكانة اجتماعية راقية بصرف النظر عن حجم ما لديه من أموال.

وقد صدق الكثيرون من الضحايا هذا المحتال خاصة أن رئيس الوزراء

ولد جريجورى فى عام ١٨٧٧ بمقاطعة هامبشير البريطانية، وكان هو الابن الأكبر بين ولدين أنجبهما والده الذى كان يعمل كرجل دين. وكان أول عمل يلتحق به جريجورى هو وظيفة مدرس بإحدى المدارس الخاصة فى هامبشير ولكنه لم يجد نفسه فى هذه الوظيفة التى كان ينظر اليها باعتبارها أقل من قدراته ومواهبه. وسرعان ما ترك سلك التدريس واتجه للعمل كممثل مسرحى حيث حقق نجاحا محدودا لعدة سنوات قبل أن يقرر الابتعاد عن التمثيل أيضا والتخصص فى الجانب التجارى أو المالى من النشاط المسرحى.

وهكذا. افتتح فى عام١٩٠٧ مكتبا بشارع شيرنج كروس فى لندن للانتاج المسرحى وادارة المسارح ولكنه لم يحقق نجاحا يذكر وتلقى لطمة عندما قدم مسرحية غنائية وضع فيها كل امكانياته المالية ولكن المسرحية لقيت فشلا ذريعا وأوصلته إلى الافلاس ورغم وصول حالته المالية إلى الدمار الشامل إلا أنه لم يستسلم واتخذ قراره الأخير بأن يواصل أنشطته فى عالم المال والأعمال بشتى السبل والوسائل المشروعة وغير المشروعة.

وكان جريجورى صاحب شخصية ساحرة لبق الحديث.. عذب الكلمات. يوحى بالثقة من أول وهلة لديه القدرة على اكتساب أى شخص إلى صفه خلال ثوان معدودات.

وقد كان جريجورى شديد الوضوح محدد الملامح وهو استغلال النفوذ وشراء الذمم.. لذلك كان من الطبيعى أن يوطد علاقاته بالشخصيات البارزة وأن يقترب إليها بشتى السبل بما فى ذلك الرشوة وشراء الضمائر.

وقد نجح جريجورى بهذه الطريقة فى التقرب من كبار المسئولين وأصبح أحد الشخصيات المعروفة فى بلاط ملك بريطانيا.. ولم ينتظر مرور الوقت حتى وضعه بل انطلق على الفور ليطرق الحديد وهو ساخن فافتتح احدى المجلات وأطلق عليها اسم «هوايت هول مجازين» صم جريدة اسمها «سانت جيمس ريفيو» التى كانت شديدة التطرف جهة اليمين وتنشر أقصى الآراء المحافظة.

وبعد ذلك افتتح جريجورى ناديا خاصا أطلق عليه اسم «امباسادور» فى كوندويت ستريت بلندن. ولم يكتف الرجل بذلك بل اختار أحد المبانى فى شارع البرلمان القريب من داوننج ستريت مقر رئاسة الوزارة البريطانية واستأجر شقة فى هذا المبنى ليستخدمها كمكتب.. وضع عند بال المبنى حارسا خاصا تعمد أن يكون مرتديا ملابس قريبة الشبه من تلك التى يرتديها حرس مقر رئيس وزراء بريطانيا.

من هذه المرحلة، بدأ المحتال الداهية نشاطه الحقيقى وهو اصطياد الأثرياء ذوى الأصول الوضيعة أو الذين ينتمون لعامة الشعب ثم اقناعهم بقدرته على أن يحصل لهم على ألقاب نبيلة وأوسمة ملكية كن جريجورى يؤكد لضحاياه أن الانتماء لطبقة النبلاء ذوى الدماء الزرقاء يساوى الملايين وأن الثراء وحده لا يكفى لكى يكون الانسان ارستقراطيا أو صاحب حيثية فى المجتمع بينما يستطيع اللقب النبيل أن يحقق لصاحبه كل الاحترام ويضعه فى مكانة اجتماعية راقية بصرف النظر عن حجم ما لديه من أموال.

وقد صدق الكثيرون من الضحايا هذا المحتال خاصة أن رئيس الوزراء

البريطانى الأسبق لويد جورج قام بعد الحرب العالمية الأولى ببيع الأوسمة والألقاب النبيلة للمئات بهدف زيادة رصيده السياسى وزيادة عدد مؤيديه وأنصاره فى مجلس اللوردات الانجليزى الذى يضم زعماء الطبقة الارستقراطية فى بريطانيا.

وقد كان جريجورى يقوم بعمليات الاحتيال فى هذا المجال بطريقتين.. الطريقة الأولى هى مرحلة البحث عن الضحية من بين الكثيرين من معارفة الذين يحلمون بالارستقراطية ويتوقون للحصول على اللقب النبيل. وكان الشرط الوحيد هو أن تكون الضحية قادرة على دفع المبلغ المطلوب وفقا لتسعيرة محددة وضعها جريجورى بنفسه وهى خمسون ألف استرلينى مقابل الحصول على وسام فارس ومائة وخمسون ألف استرلينى مقابل لقب لورد وهذه المبالغ تعد هائلة بالفعل بمقاييس النصف الأول من القرن الحالى.

بعد ذلك كان جريجورى يقوم بالاتصال بالضحية مباشرة ودعوتها بهدف مناقشة أمور خاصة على قدر كبير من الأهمية.

وخلال اللقاء، كان جريجورى يظهر فى صورة كاتم أسرار ملك بريطانيا أو رئيس الوزراء ويبدأ حديثه بتقديم صورة زائفة عن قوة علاقاته الشخصية مع الدوائر العليا ثم ينتقل إلى الاشادة بالضحية مؤكدا أنه اختارها بالتحديد حتى تنال شرفا تستحقه وهو الانضمام إلى طبقة النبلاء والارستقراط فى بريطانيا.. **وفى بعض الأحيان كان جريجورى يقول للشخص الذى يستعد للاحتيال عليه انهم بحثوا فى**

أصله وفصله وشجرة عائلته واكتشفوا أن أسلافه القدامى كانوا من النبلاء ولكن اثبات ذلك يحتاج لنفقات باهظة خاصة أن المسؤلين الكبار فى الدولة يطلبون ثمنا لتعاونهم وهنا يسقط الضحية فى الفخ متوهما بالفعل أنه سليل أسرة نبيلة وأنه مسئول أمام أرواح أسلافه الأرستقراط عن استعادة لقب الأسرة النبيل.

وبعد ذلك، تصبح المهمة سهلة، حيث يندفع الضحية وراء مشاعره فى استعادة أمجاد الأسرة وطموحه الشخصى فى أن يحتل مكانه الذى يستحقه بين النبلاء والارستقراط.

أما الطريقة الثانية التى كان جريجورى يتبعها فى الاحتيال فكانت تقضى بالبحث عن رجل اعمال ثرى يكون معروفا بذكائه وفطنته.. وفى هذه الحالة، كان جريجورى يسعى بالفعل لادراج اسم رجل الاعمال فى قائمة الانتظار بالنسبة للألقاب النبيلة وهى مسألة سهلة كان بوسعه حقيقة القيام بها من خلال علاقاته الوطيدة ببعض المسئولين الفاسدين بالاضافة إلى أن وضع الاسم فى قائمة الانتظار لايعنى أى شئ وربما يظل الشخص إلى الأبد فى هذه القائمة دون أن يحصل على اللقب النبيل.

ورغم ذلك، كان جريجورى يستطيع اقناع الضحية مهما كانت درجة ذكائها بأن هذه هى الخطوة الأولى وبعد ذلك سيكون كل شئ سهلا بدون أى مشاكل ثم يحصل على المبلغ المتفق عليه وتظل الضحية فى انتظار نيل الشرف الرفيع إلى مالانهاية

وقد ظل جريجورى يمارس عمليات النصب والاحتيال فى مجال بيع

الألقاب النبيلة حتى حدثت الكارثة ذات يوم عندما تغيرت الحكومة العمالية وجاءت حكومة حزب المحافظين التى كان أحد البنود الرئيسية فى برنامجها القضاء على التجارة فى الألقاب وبعد فترة قصيرة. صدر بالفعل قانون جديد أقره البرلمان البريطانى عام١٩٢٥ وجعل هذا القانون التجارة فى الألقاب جريمة يعاقب عليها القانون كما منع هذا القانون دفع أيه مبالغ مقابل السماح لأى شخص بدخول طبقة النبلاء.

ورغم أن أهداف حزب المحافظين من وراء هذا القانون كانت هى منع اختلاط «الدماء الزرقاء» بغيرها من دماء عامة الشعب إلا أن صدور القانون كان ضربة كبرى للكثيرين الذى حققوا ثروات هائلة من وراء التجارة فى الألقاب بالبيع والشراء

وقد ابتعد الكثيرون عن ممارسة هذا النشاط حتى لايقعوا تحت طائلة القانون ولكن جريجورى رفض أن يستسلم وواصل عمليات الاحتيال التى كان يقوم بها مع فارق بسيط هو أنه رفع التسعيرة المقررة للألقاب النبيلة بحجة أن المسألة أصبحت أشد صعوبة مما كانت عليه وأن الاتجاه السائد فى بريطانيا أصبح هو اغلاق الدائرة الارستقراطية ومنع عامة الشعب من دخولها أو حتى التطلع إليها.

وكان الخطأ الذى وقع فيه جريجورى هو أنه لم يضع فى حسابه جدية حزب المحافظين فى تنفيذ قانون منع التجارة فى الالقاب حيث كان يتصور أنها مجرد زوبعة فى فنجان سرعان ما تمر ويعود بعدها كل شئ إلى ما كان عليه.

وهكذا انتشرت رائحة المؤسسة التى يديرها جريجورى لبيع الألقاب

الارستقراطية، وقررت حكومة المحافظين التصدى لهذا المحتال ووقفه عند حده رغم أنها لم تتلق أى شكوى من ضحاياه الذين كانوا يحاولون التصرف كارستقراط ويرفضون الاعتراف بحقيقة تطلعاتهم الطبقية وسذاجتهم التى أتاحت لهذا المحتال الحصول على أموالهم بارادتهم ولكن دون وجه حق.

ودفعت وزارة الداخلية البريطانية بأحد رجالها للتسلل إلى مؤسسة جريجورى والحصول على قائمة بأسماء الأشخاص الذين وعدهم المحتال بأن يحصل لهم على أوسمة أو ألقاب.

وفى عام١٩٣٣، ارتكب جريجورى خطأ فادحا عندما عرض على ضابط يدعى ادوارد ليك أن يحصل له على وسام فارس مقابل ٥٠ألف استرلينى.. وتقدم الضابط بشكوى وتم القبض على جريجورى متلبسا بالحصول على المبلغ وقدم النصاب للمحاكمة وفقا لقانون منع التجارة فى الألقاب الصادرة عام ١٩٢٥.

وأدلى الضابط بشهادته أمام المحكمة والتى شرح فيها كيف تلقى خطابا من جريجورى يشرح فيه عقد لقاء بينهما وكيف قابله المتهم فى المؤسسة التى يمتلكها وأبلغه بأنه يستحق أن يحصل على لقب فارس ولكن المشكلة الوحيدة أن بعض المسئولين البريطانيين يعترضون على ذلك لرغبتهم في الحصول على رشوة.

ـ وقال الضابط أن جريجورى أبلغه بأنه يستطيع التفاهم مع هؤلاء المسئولين والحصول على موافقتهم بعد أن يقدم لهم المبلغ الذى حدده.

وأكد الشاهد للمحكمة أن لقاءه بالمحتال جريجورى تم وسط مظاهر الفخامة والأبهة وأن المحتال دعاه إلى غداء فاخر بعد الاتفاق حتى يقنعه أنه بالفعل من عليه القوم.. وطوال الغداء كان يحدثه عن القيمة الكبرى التى تكمن فى أن يكون الانسان ارستقراطيا وكيف يحقق له ذلك علو الشأن والمكانة على بقية البشر.

وقد حاول المتهم فى البداية انكار الاتهامات الموجهة إليه وقال للمحكمة أنه غير مذنب ولكنه اضطر بعد ذلك فى مواجهة الأدلة الدامغة لأن يعترف بجرائمة وصدر الحكم بسجنه لمدة شهرين فقط.. وقيل أن السبب فى تخفيف العقوبة كان هو الرغبة فى اسكات جريجورى حتى لايكشف أسماء المسئولين الفاسدين الذين تعاونوا معه.

وبعد اطلاق سراحه تفجرت فضيحة أخرى حول جريجورى وكانت هذه المرة خاصة بمصرع عشيقته ادينس روز فى ظروف غامضة وعندما بدأت أدلة الاتهام تتجمع ضده تمكن من الهروب إلى فرنسا حيث عاش فى باريس تحت اسم سيرارثر جريجورى.

ثم بدأت شرطة سكوتلنديارد تلاحقه فهرب مرة أخرى الى المانيا حيث توفى فى أحد مستشفيات الفقراء عام١٩٤١عن٤٦ عاما وتم دفن النبيل البريطانى المحتال فى مقابر المشردين ومجهولى الشخصية.

١١ النصب بالتنويم المغناطيسى والوسيط الروحاني المزيف!!

ورغم أن الوسيطة استطاعت أن تقنع الحضور باستدعاء روح أحد، إلا أن معظم الموجودين كانوا تحت طائلة الغش والاحتيال، باستخدام طريقة التنويم المغناطيسى!!

لم يعد من الممكن الشك فى حدوث بعض الظواهر الخارقة أو الميتافيزيقية مثل تحضير الأرواح، فهناك حالات لاتعد ولا تحصى تم فيها رصد مثل هذه الظواهر والتأكد من حدوثها ورغم ذلك فهناك الكثيرون الذين يرفضون الاعتراف بقدرة بعض الوسطاء الروحانيين على الاتصال بأرواح الموتى أو الدخول إلى عالم الروح الغامض.

ويرفض هؤلاء مجرد الاعتراف بقدرة أى شخص على سبر أغوار الماضى أو التكهن بالمستقبل من خلال اتصاله بروح من العالم العلوى أو أى مخلوق آخر من العالم السفلى ويؤكدون أن كل ما يتردد فى هذا السياق هو مجرد عمليات نصب واحتيال يتعين أن تقع تحت طائلة القانون.

ويذهب البعض إلى أنها تعتبر مثل المخدرات الهدف منها تغييب العقل والهاء الانسان عن المشاكل الحقيقية التى يواجهها فى الحياة بحيث يتحول إلى كائن ضعيف مهزوز يتوهم أن مصيره أو مستقبله يرتبط بكلمة من فم مشعوذ أو دجال بينما يتعين عليه فى الواقع أن يكون كما خلقه الله سيد المخلوقات مميزا عليها بالعقل والحكمة والسعى لتحديد مسار حياته بالعمل والعلم والجهد الشاق.

مع تصاعد حمى تحضير الأرواح التى اجتاحت العالم فى النصف الأول من القرن الحالى كان من الطبيعى أن يتصدى الكثيرون لهذه الظاهرة وينتقدوا بشدة محاولات البعض لاستغلالها كوسيلة للاحتيال على السذج والبسطاء.

والغريب أن أبرز من تصدوا للوسطاء الروحانيين أو من يزعمون قدرتهم على الاتصال بالأرواح لم يكونوا هم العلماء أو حتى أصحاب الفكر المادى فقد تزعم الحملة ضد تحضير الأرواح فى أمريكا وأوروبا شخص يدعى هارى هودينى وكان ساحرا ومن أبرع من عملوا فى مهنة الحواة. كان هودينى يعتقد أنه أقدر من غيره على اكتشاف حيل الوسطاء الروحانيين المزعمين.

وكان هودينى يقول إن عقله مدرب جيدا على التقاط كل حيل الخداع ورغم ذلك فقد تمكن بعض الوسطاء الروحانيين من خداعه واقناعه بقدارتهم على الاتصال بالأرواح ويقول هودينى إنه كان مترددا ومتحمسا فى نفس الوقت لشن حملة ضد الروحانيين فقد كان مبعث التردد هو أمله فى أن تكون هناك امكانية حقيقة للاتصال بأرواح الموتى وفى نفس الوقت كان متحمسا لهذه الحملة بسبب شعوره بالغضب من استغلال أحزان البسطاء فى الاحتيال والنصب.

لذلك طالب هارى هودينى بسن قوانين تمنع ممارسة تحضير الأرواح على غرار القوانين التى تمنع المخدرات. وقد صدرت بعد ذلك بالفعل قوانين فى أمريكا وبريطانيا تمنع أى شخص يثبت تلاعبه من ممارسة مهنة الوسيط الروحانى بل تشكلت فرقة بوليس خاصة فى نيويورك لمداهمة أماكن عقد جلسات تحضير الأرواح.

ولقد ساعدت خبرة هودينى كساحر ليس فقط فى كشف حيل الوسطاء الروحانيين المزعومين بل أيضا القاء الضوء على الكثير من الأمور الغامضة فى عالم تحضير الأرواح.

فعلى سبيل المثال كشف هذا الساحر عن سر الأصوات الغريبة التى تحدث فى جلسات تحضير الأرواح حيث اتضح أن بعض الوسطاء الروحانيين يصدرون هذه الأصوات بحركات معينة من أصابعهم وأقدامهم أو من خلال بعض المتعاونين معهم وكشف هودينى أيضا عن بعض الأدوات المعدنية التى يستخدمها الوسطاء والتى تتحرك بداخلها ابرة من المعدن أيضا بشكل منتظم بحيث يستطيع تشغيل هذه الأدوات عن طريق خيط متصل بملابسه وعندما يجذب الوسيط هذا الخيط بحركة من ساقه تصدر هذه الأصوات ويظن من يحضرون الجلسة أنها أصوات قادمة من العالم الآخر.

كما كشف الساحر عن حيلة ظهور يد غريبة الشكل فى الجلسة يعتقد الحاضرون أنها يد المتوفى بينما هى يد الوسيط نفسه وقد غطيت بالشمع السائل وكان من أهم أسباب اثارة الشكوك فى هؤلاء الوسطاء الروحانيين المزعومين هو ان الروح كانت توصى فى ختام الجلسة بتقديم مكافأة مالية للوسيط الروحانى.

وقد عرضت أمام القضاء البريطانى العديد من القضايا التى تتناول هذه المشكلة من اشهرها قضية نظرت عام ١٩٠٣ كان بطلها شابا يدعى هنرى شيفارد هارت كافنديشى ضد الزوجين تشارلز ومادلين سترون. القضية باختصار هى أن كافنديشى قد ورث ممتلكات قيمتها ٢٣٠ ألف استرلينى عندما بلغ الحادية والعشرين من العمر وأبلغ الشاب المحكمة بأنه أعطى السلطة كاملة للزوجين سترون فى ادارة شئونه المالية بناء على نصيحة من

روح أمه الميتة وأيضا نصيحة الملائكة الثلاثة جبريل وعزرائيل وميكائيل. وقال أن هذه الأرواح اتصلت به عن طريق قطعة من الخشب على شكل قلب مثبت بها عجلتان وفتحة فى المنتصف يوضع فيها قلم رصاص.

وأضاف أنه خلال جلسة تحضير الأرواح كانت توضع ورقة تحت قطعة الخشب التى تبدأ فى التحرك وحدها لتكتب الرسالة التى تريد الأرواح توصيلها إليه وقد تأكدت المحكمة من حدوث تلاعب من جانب المتهمين لاقناع الشاب كافنديشى بأن روح أمه وكذلك الملائكة جبريل وعزرائيل وميكائيل يطلبون منه بأن يسلم ثروته الطائلة للمتهمين تشارلز ومادلين ستروت واعترف المتهمان بأنهما استغلا سذاجة الشاب ودبرا الحيلة الماكرة للاستيلاء على ثروته.

ويقول الساحر هودينى أن عمليات النصب فيما يسمى بجلسات تحضير الأرواح تتم أيضا من خلال الحصول على معلومات عن الشخص المتوفى الذى يراد تحضير روحه وهذه المعلومات يتم جمعها ببساطة قبل الجلسة سواء من الصحف القديمة أو من بعض العاملين فى المنزل أو الأصدقاء وبالتالى تكون هذه المعلومات وسيلة أخرى لاقناع الضحية بحقيقة ما يحدث أمامه.

والغريب أن الساحر هودينى نفسه وهو أعدى اعداء الوسطاء الروحانيين ظل يتمنى ان تتاح له فرصة الاتصال بوالدته التي كان يحبها بشدة..

ولهذا السبب انتهز هودينى الفرصة عام١٩٢٢ عندما وجه له السير آرثر كونان دويل الأديب البريطانى المعروف ومبتكر شخصية شارلوك

هولمز الدعوة لحضور جلسة تحضير الأرواح فى فندق امباسادور بمدينة اتلانتك سيتى.

وكان الوسيط الروحانى فى هذه الجلسة هو السيدة دويل زوجة الأديب المعروف. ويحكى هودينى عن مشاعره خلال الجلسة فيقول «كنت أتمنى أن تحدث المعجزة واتصل بروح أمى انتظرت بقلب يخفق أن أشعر ولو مجرد شعور بوجود أمى بقربى وأن أتحدث إليها خاصة أن يوم انعقاد الجلسة كان هو ١٧ يوليو١٩٢٢ الذى يوافق ذكرى عيد ميلادها. وقد عقدت العزم على التحول إلى أحد المؤمنين بتحضير الأرواح اذا ما ظهر أمامى أى دليل يزيل الشكوك التى سيطرت على عقلى ازاء تحضير الأرواح لمدة ثلاثين عاما.

ورغم أن الوسيطة الروحانية نقلت إليه رسالة غامضة من والدته إلا أنه رفض الاقتناع بهذه الرسالة لسبب بسيط هو أن روح أمه التى حضرت خلال الجلسة كانت تستطيع القراءة والكتابة بالانجليزية بينما كانت والدته أمية لاتقرأ ولا تكتب بالانجليزية.

وقد حاول سير كونان دويل أن يفسر ذلك بقوله أن الأرواح تطلع على كل المعارف والعلوم بعد أن تغادر عالمنا وأن والدته أصبحت فى السماء تجيد القراءة والكتابة ورغم ذلك رفض هودينى أن يصدق حضور روح والدته بل أكد أنه لم يشعر كابن بوجود أمه خلال جلسة تحضير الأرواح.

وهناك كثيرون من المتشددين فى حقيقة تحضير الأرواح تعمدا اضاءة أنوار القاعة فى منتصف جلسة التحضير وفى إحدى هذه المرات اكتشفوا

أن مادة الاكتوبلازم التى تخرج من جسد الوسيط أثناء الجلسة هى مجرد كمية من الزبد كما لاحظوا وجود أجهزة معينة لاصدار الأصوات والأضواء التى زعموا أنها قادمة من العالم الآخر وأدى ذلك إلى اعلان واحد من أكبر خبراء علم النفس فى القرن الحالى وهو البروفيسور هاربرايس أن تاريخ ما يسمى بتحضير الأرواح هو مجرد سلسلة طويلة من الخداع والنصب والحماقة وقد قامت جمعية الدراسات النفسية البريطانية بمجموعة أبحاث حول الوسطاء الروحانيين ونجح بعض هؤلاء الوسطاء فى الهروب من تهمة النصب أمام هذه الجمعية. ومن هؤلاء الوسيطة الشهيرة روزابيا بالادينو وهى ايطالية كانت لديها القدرة على الاتصال بالأرواح بل الحصول على صور لوجوه هذه الأرواح مطبوعة فوق الصلصال وفى بعض الأحيان كانت تستدعى جسد المتوفى وتجعل قطع الأثاث ـ تتراقص وحدها داخل الغرفة. وفى عام ١٩١٠ كانت روزابيا فى منتصف جلسة لتحضير الأرواح وقام اثنان من المحققين بالاختباء تحت المنضدة واكتشفوا أن هذه السيدة تحاول رفع المنضدة بساقيها ولكن الوسيطة الايطالية ردت على ذلك بقولها إنها اكتشفت وجود المحققين تحت المنضدة عندما رفضت الروح أن تحضر ولكنها رغم ذلك حاولت ارضاء الموجودين بتحريك المنضدة بساقيها حتى لايشعروا بالاحباط.

وفى عام ١٩٣٢ تفجرت فضيحة أخرى حول وسيطة روحانية أمريكية تدعى مارجرى. فقد قدمت مارجرى لمحققى جمعية الدراسات النفسية بصمات أصابع على الشمع قالت أنها حصلت عليها من روح شقيقها المتوفى والتر الذى قالت أن روحه تزورها باستمرار واتضح بعد ذلك أن

هذه البصمات تخص أحد أصدقاء مارجرى الذين يحضرون جلسات الأرواح وأثارت هذه الفضيحة ضجة كبيرة لأن هذه الوسيطة المزعومة كانت زوجة لجراح شهير فى مدينة بوسطن يدعى الدكتور جودار جراندون.

وفى اسكتلندا أدانت المحكمة واحدة من أشهر الوسيطات الروحانيات كانت تدعى هيلين دانكن وقد أدينت هذه الوسيطة بالنصب والاحتيال مرتين كانت القضية الأولى فى عام ١٩٣٣ حيث كانت هيلين دانكن تزعم أنها قادرة على استحضار روح وجسد الشخص المتوفى معا وفى احدى الجلسات تقدمت فتاة تدعى مولى وأمسكت بالروح التى كانت لفتاة صغيرة واتضح بعد إضاءة الأنوار أن هذه الروح المزعومة هى مجرد دمية من القماش وصدر الحكم على الوسيطة بالغرامة المالية.

ويبدو أن هذه الغرامة المالية لم تكن رادعة فقد عادت هذه الوسيطة هيلين دانكن فى عام١٩٤٤ لتمارس نشاطها مرة أخرى وتم القبض عليها فى حالة تلبس باستخدام دمية أخرى وفى هذه المرة كان رجال البوليس هم الذين اكتشفوا جريمة النصب والاحتيال.

وصدر عليها الحكم بالسجن لمدة تسعة شهور وفقا للقانون المناهض لممارسة السحر الأسود. ويرى الكثيرون من علماء النفس أن الوسطاء العقليين أى الذين يزعمون قدرتهم على الاتصال العقلى بالأرواح هم الأكثر قدرة على الاقناع وأشهر نموذج لهذه النوعية من الوسطاء الروحانيين هو المسز ليونورابابير التى كانت تعيش فى مدينة بوسطن

الأمريكية. وقد تميزت هذه الوسيطة بقدرتها الهائلة على كشف كل أسرار الأشخاص الموجودين بالجلسة والذين لم تسبق لها معرفتهم. وقد تم تكليف أحد مفتشى الشرطة بمتابعتها للتأكد من حقيقة ما تفعله وقال هذا المفتش فى تقريره أنها لاتسأل الحاضرين أى سؤال بل تتوصل إلى معرفة أسرارهم بطريقة غير طبيعية وذات يوم كان من بين حاضرى الجلسة شخص يدعى سير اوليفرلودج وقد كشفت له مسز ليونارابابير بأن لديها قدرة خارقة على الاتصال بالأرواح.

والأكثر من ذلك أن الكثيرين من العلماء النفسيين ايدوا هذا الرأى دون أى تحفظ بعد عدة جلسات مع هذه الوسيطة.

فى عام ١٨٩٦ واجهت مسز بابير امتحانا قاسيا ورهيبا حيث طلبت منها استشارة حول مصرع شاب أمريكى يدعى دين بريدجمان كونر وكان هذا الشاب قد توجه للعمل فى سيرك بالمكسيك ولكن بعد أسابيع قليلة تلقت الأسرة نبأ وفاته.

وذات ليلة رأى والد الشاب ابنه فى الحلم وأنه مازال حيا ويحتجزه بعض الأشخاص فى المكسيك. وأدى هذا الحلم إلى زيادة شكوك أسرة كونر فى وفاة ابنها خاصة أنهم لم يعثروا على الجثة.

وتوجهت الأسرة إلى الوسيطة الروحانية مسز بابير فى بوسطن وطلبت منها معرفة الحقيقة وسؤال الأرواح وقالت الوسيطة إن الابن مختطف فعلا ومحتجز فى مستشفى جنوبى المكسيك ونتيجة لذلك بدأت عملية بحث كبرى فى كل مكان بالمنطقة التى حددتها الوسيطة دون جدوى.

وفى النهاية جاءت الحقيقة على يدى صحفى من جريدة بوسطن جلوب حيث أكد أن الابن دين بريدجمان كونر قد مات بالفعل وتم دفنه فى القبر رقم ٥٥٩ بالمدافن الأمريكية فى مكسيكو سيتى وأكد هذا الصحفى أن كل ما قالته الوسيطة مسز بابير كان محض هراء منذ البداية وحتى النهاية.

ومن أشهر الوسطاء الروحانيين فى العصر الفيكتورى دانيال هوم الذى عاش فى أمريكا وكان يؤكد أن اجداده من اسكتلندا وزعم أن والده أحد النبلاء الاسكتلنديين وقد توجه دانيال هوم إلى أوربا فى عام ١٨٥٥ وحظى بشهرة واسعة بين الارستقراط وخاصة عندما أكد أنه قادر على التخاطب مع الأرواح وأخذ يستعرض قدراته فى الاتصال بالأرواح وتحريك قطع الأثاث وتمكن ذات مرة من تعليق منضدة عليها اناء للزهور فى الهواء لعدة دقائق وفى جلسة أخرى جعل البيانو يطير فى الهواء ومعه الكونيتسة أورسينى التى كانت تعزف عليه كما كان يستطيع الامساك بجمرات الفحم المشتعلة بل وكان يضع وجهه داخل المدفأة وسط اللهيب المتقد ويحركها ويدفن وجهه فى النيران دون أن يتأثر وكان يمسك بقطعة الفحم المشتعلة ويطلب من أحد الحاضرين أن يمسها فيصرخ من الألم.

وقد بلغ عدد الجلسات التى عقدها دانيال هوم ١٥٠٠ جلسة على الأقل وربما كانت الظاهرة التى انفرد بها هى أنه يجرى جلسات تحضير الأرواح تحت الأضواء الكاملة وليس فى غرف شبه معتمة كما يفعل غيره من الوسطاء الروحانيين وكان يقول دائما حيث يكون الظلام تكون هناك فرصة للخداع والاحتيال كما كان هوم يرفض الحصول على أى أموال مقابل

خدماته مكتفيا بدعوته إلى العشاء فى المطاعم الفاخرة أو الإقامة فى قصور النبلاء والأرستقراط. ووسط الأثرياء الذين كان يعشق الحياة بينهم. وقد فشلت كل محاولات اثبات التلاعب على دانيال هوم هذا ورغم ذلك تعرض لانتقادات شديدة لدرجة أن الشاعر الانجليزى الشهير روبرت براوننج كتب فيه قصيدة وخصصها كلها للهجوم عليه.

وقد ظهرت بعد ذلك نظريات عديدة تفسر تلك القدرات الخارقة التى كان يتمتع بها هذا الوسيط الروحانى والتى أدهش بها القرن التاسع عشر ومن بين هذه النظريات دهان جلد البشرة بمواد معينة بحيث يتحمل النيران ومن الممكن أن هذا الوسيط كان يدهن وجهه ويديه بمثل هذه المواد قبل إن يضعها فى النيران.

ورغم ذلك فإن أغرب ما فعله هوم كان هو ما حدث فى يوم الأحد ١٨ ديسمبر ١٨٦٨ أمام مجموعة من الأشخاص حضروا جلسة تحضير الأرواح فى هذا اليوم فقد طار خارجا من النافذة فى الدور الثالث لأحد منازل لندن ثم عاد ليدخل من نافذة أخرى وهذا على الأقل هو ما شاهده الحاضرون.

وحتى هذه الحيلة فإن المتشككين فى حقيقة تحضير الأرواح يؤكدون انها تمت فى اطار نوع من التنويم المغناطيسى مارسه هذا الوسيط الداهية على الحاضرين بحيث أوهمهم بأنه قادر على الطيران والحقيقة انه كان بينهم وان المسألة لا تتجاوز مجرد حيلة جديدة أو قدرة معينة يتمتع بها الوسيط ويبهر من خلالها الحاضرين فى الجلسة بدرجة تقنعهم بقدرته على عمل المعجزات.

١٢ الجمال والفتنة والإثارة أدوات الأميرة للإحتيال

> كانت فاتنة وساحرة ومثيرة وجمالها لايقاوم، ولأن لكل محتال أو نصاب أسلحته التى يتخذها أدوات للايقاع بضحيته فقد كان حسنها وجمالها الطاغى، وقدرتها على إثارة غرائز الرجال هى أهم أسلحتها!!

رغم أن أشهر المحتالين والنصابين فى التاريخ كانوا من الرجال، إلا أن خبراء الجريمة يؤكدون أن جريمة الاحتيال هى الأقرب لطبيعة المرأة!!

ويرى هؤلاء أن المرأة تمارس فى حياتها العادية أشكالا عديدة من الإقبال لايجرمها القانون مثل وسائل التجميل التى تهدف فى الأساس إلى الالتفاف حول الحقيقة وخداع الآخرين بشكل يختلف عن الشكل الحقيقى للمرأة

ومن أشكال الاقبال البرئ التى تمارسها المرأة استغلال أسلحتها الأنثوية وكلماتها المعسولة لإغراء الرجل وحثه على القيام بعمل مرفوض من جانبه وهو فى كامل قواه العقلية مثل أن يشترى لها ثوبا غاليا أو قطعة من المجوهرات حتى ولو كان من شأن مثل هذا العمل أن يسبب له ارتباكا مالياً. وقد تصل الأمور لأخطر من ذلك كأن يرتكب الزج جريمة اختلاس على سبيل المثال، من أجل الاستجابة لمطالب زوجته التى لايستطيع مقاومتها بسبب الضغوط التى تمارسها ضده والأسلحة التى تستخدمها لاقناعه بوجهة نظرها..

واحتيال المرأة ليس كله من النوع الذى لايمثل انتهاكا لنصوص القانون.. ففى بعض الأحيان تمارس المرأة جريمة النصب أو الاحتيال بموهبة أو إقتدار يحسدها أشهر المحالتين وأبرع النصابين.

ومن أشهر أمثلة المرأة المحتالة فى العالم، الأمريكية مارى فيتيان

تشرشل التى عرفت فى دوائر الشرطة فى الولايات المتحدة باسم.. أمير شيكاغو. كانت مارى تشرشل بارزة فى عالم الجريمة بشيكاغو حيث كانت أبرع زعماء عصابات النصب والاحتيال والابتزاز فى العصر الحديث. وكان هدفها الوحيد فى الحياة هو جمع المال بأى وسيلة مهما كانت. أما مركز العمليات الخاص بها والذى كانت تمارس فيه جرائمها فكان هو غرفة نومها التى يدخلها الضحية من الأثرياء ويخرج منها فقيراً معدما.

ولدت مارى تشرشل فى أيرلندا لأبوين ميسورى الحال. ومنذ طفولتها أظهرت قدرا كبيرا من الذكاء. وفى نفس الوقت، كانت لديها رغبة جنونية فى الاستيلاء على مالدى غيرها من الأطفال.

وفى سن السادسة عشرة، أصبحت مارى فتاة على قدر كبير جدا من الجمال وقررت بينها وبين نفسها أن تستثمر هذا الجمال من أجل تحقيق ثروة كبرى. وببراعة شديدة، رصدت الفتاة ضحيتها الأولى وكان ابن أسرة شديدة الثراء فى دبلن. وتعرفت مارى على هذا الشاب ودخلت معه فى علاقة غرامية ملتهبة.. وبعد فترة فوجئ بها الشاب العاشق تطلب منه مبلغا كبيراً من المال وإلا أبلغت أسرته بعلاقتهما.

ورغم أن الشاب دفع ما طلبته إلا أنها أبلغت أسرته بكل شئ وطلبت منهم أن يدفعو لها أيضاً ثمن سكوتها. وكان هذا الثمن عبارة عن مبلغ كبير من المال بالإضافة إلى تذكرة سفر إلى أمريكا.

وفى عام١٩١٢، توجهت مارى فيفيان تشرشل إلى الولايات المتحدة، وكان ذلك قبل عشر سنوات من ظهور رجل العصابات الشهير آل كابونى فى شيكاغو حيث نشطت عصابات الجريمة تمارس كافة الانتهاكات للقوانين.

ومنذ اللحظة الأولى، أدركت مارى أن مكانها الطبيعى هو العالم السفلى وسط الخارجين على القانون ولذلك توجهت مباشرة إلى شيكاغو حيث ارتدت أفخر الثياب ودخلت فى علاقات عديدة مع زعماء الجريمة.

وعندما بلغت سن العشرين، كانت مارى قد احتلت مكانة مرموقة وبارزة فى عالم الاجرام بالولايات المتحدة. وأطلق عليها لقب أميرة شيكاغو الذى التصق بها إلى الأبد..

كانت مارى تشرشل تختار ضحاياها بدقة شديدة وخاصة من الرجال الأثرياء الذين تتراوح أعمارهم بين خمسين وستين عاما. وكان معظم هؤلاء الضحايا من كبار رجال الصناعة والشخصيات العامة الشهيرة ورجال الأعمال الذين يربط بينهم جميعاً خيط واحد هو الشعور بالملل من الحياة الزوجية والرغبة فى الدخول فى علاقة غرامية مع امرأة جميلة مهما كان الثمن.

وكان الأسلوب الذي اتبعته مارى بسيطاً للغاية، فالبداية دائما هى اصطياد أحد الأثرياء الذين لاوقت لديهم للتمتع بالحياة ثم استخدام سحرها وجمالها لكى تفتح أمامه أبواب الحياة والمتعة على مصراعيها بحيث يبدأ فى التقرب إليها. وعندئذ تتظاهر بأنها وقعت فى شباكه خاصة بعد أن يغدق عليها هداياه من المجوهرات والأموال.

وقبل أن يدرك حجم الهوة التى سقط فيها. تكون عصابتها قد التقطت له عشرات الصور الغرامية الفاضحة.. وبعد ذلك تبدأ عملية الابتزاز التى

تتم خلالها مساومة العشيق المسكين على سمعته وشرفه.. وهنا لايكون أمامه أى مجال سوى الخضوع التام لمطالب أميرة «شيكاغو» وأن يدفع لها ثمن سكوتها..

وبعد عدة عمليات، أصبح بوسع أميرة «شيكاغو» أن تسكن قصراً فاخراً يعج بالخدم والحشم بالإضافة إلى فريق من الحرس الخاص «البودى جارد» وخلال فترة قصيرة أصبحت مارى تشرشل من أبرز نساء شيكاغوا وأكثرهن أناقة.. وفى دورة تألقها، تعرفت على أيدى جورين أشهر لص بنوك فى التاريخ والذى كان يتميز بملامحه الجميلة وعيونه الزرقاء.

كان من الواضح تماماً أن كلاهما خلق للآخر وإرتبطا فى علاقة حب أسطورية كانت حديث شيكاغو كلها حتى بدأت حساسية أيدى الشديدة تظهر تجاه العلاقات التى ترتبط بها حبيبته مع الأثرياء.

ورغم محاولاتها العديدة لاقناعة أن هذه العلاقات مجرد «شغل» ولا تعكس أى شعور حقيقى تجاه هؤلاء العشاق إلا أنه كان يرفض هذا التبرير خاصة إذا كان هؤلاء العشاق من الشباب الذين يماثلونها فى السن.

استمرت سطوة مارى تشرشل فى شيكاغو لمدة تصل إلى أربع سنوات متواصلة جمعت خلالها ثروة قدرتها الشرطة الأمريكية بحوالى مليون دولار وهو رقم هائل بأسعار الربع الأول من هذا القرن. وقد جمعت مارى كل هذه الثروة بوسيلة واحدة هى الإحتيال والإبتزاز..

وخلال هذه الفترة تسببت«أميرة شيكاغو» فى تدمير حياة عشرات الرجال الذين سقطوا فى شباكها وحبائلها متوهمين أنهم فى طريقهم إلى

النعيم بينما كانوا فى الحقيقة يسلمون مقدراتهم ومصائرهم لامرأة ذات قلب من صخر لاتعرف الرحمة إليه سبيلا.

وقد حاول أحد ضحاياها أن يلجأ للشرطة لكى تحمية من الابتزاز الذى تمارسه ضده هذه المرأة ولكنه فوجئ بأن الضابط الكبير الذى يتقدم إليه بشكواه والذى من المفروض أن يعمل على حمايته، هو فى واقع الأمر أحد مسئولى الشرطة الذين يعملون فى خدمة «أميرة شيكاغو» ويحصلون منها على رشاوى منتظمة..

وحاول أحد ضحاياها، وكان مديراً لأحد مصانع الصلب أن يتصدى لنفوذها وهددها بالقتل ولكنه فوجئ برجالها يحضرون إليه ويحذرونه من أن أى محاولة للمساس بأميرة شيكاغوا سيكون الرد الوحيد عليها هو إبادته مع جميع أفراد أسرته.

ولم يجد شاب ثرى آخر إحتالت عليه مارى حتى سلبته كل ثروته سوى أن يتخلص من حياته بالإنتحار هرباً من المصير الأسود الذى كان ينتظره بعد أن ضاعت ثروته وتدهورت سمعته إلى الحضيض.

وذات يوم، قررت الصحافة أن تشن حملة كبرى ضد الفساد المتفشى بين المسئولين وكبار الأثرياء الأمريكيين.. وكان من الضرورى أن تمس هذه الحملة «أميرة شيكاغو» باعتبارها من أهم رؤوس الفساد، وفى الوقت المناسب، وصلتها نصيحة من بعض أصدقائها فى دوائر السلطة بأن تختفى وتبتعد عن شيكاغو قبل أن تتفجر الفضيحة ويطالب البعض برأسها على أساس أنها من أهم رؤوس الفساد

وكان رأى مارى تشرشل هو أن ما فعلته فى شيكاغو يمكن تكراره فى أى مكان آخر ولذلك حزمت حقائبها وتوجهت إلى نيويورك وبعد فترة قصيرة، تبعها عشيقها «إيدى».

فى نيويورك، عاشت مارى تنتقل بين الفنادق الفاخرة بحثاً عن صيد جديد ولكنها بدأت تشعر أن الوضع مختلف فى هذه المدينة عما كان عليه فى شيكاغو. كان هذا الشعور صادقاً إلى حد بعيد لأن مجتمع نيويورك لم يكن يشبه مجتمع شيكاغو من قريب زو بعيد أن ماري تشرشل لم تكن لها أى علاقات في نيويورك يمكن أن تسهل لها خططها ومؤامراتها كما كان يحدث فى عاصمة الحرية شيكاغو.

كما أن كبار المجرمين ورجال العصابات الذين كانوا يساندونها لم يكن لهم نفس الوجود أو التأثير فى نيويورك، حاولوا الابتعاد عنها لتجنب الشبهات المحيطة بها وأيضا الابتعاد عن المشاكل خاصة بعد أن ارتفعت الصيحات التى تطالب بمواجهة الفساد والجريمة.

وقد وصلت إلى شرطة نيويورك بالفعل تحذيرات من شرطة شيكاغو بضرورة مراقبة مارى تشرشل باعتبارها أخطر المجرمين فى مجال الاحتيال والابتزاز.

وفى مواجهة هذه الظروف الصعبة وغير الملائمة. كان قرار مارى هو التوجه إلى أوروبا حيث لايعرفها أحد وحيث يتوافر المئات بل والألوف من الأثرياء الذين تستطيع أن تلعب معهم لعبتها..

وبالفعل، توجهت مارى تشرشل إلى أوروبا وبالتحديد إلى أغنى المدن الأوربية حيث نزلت فى أفخم الفنادق ومارست نفس أسلوبها القديم فى اصطياد الأثرياء وأصحاب الملايين ثم ابتزازهم والاحتيال عليهم..

وفى برلين، استطاعت مارى أن تحتال على رجل صناعة ألمانى وتبتز منه مبلغ ٢٥٠ ألف مارك فى عملية واحدة.. بعد ذلك، توجهت مارى إلى فيينا عاصمة النمسا حيث تعرفت بأحد النبلاء وارتبطت معه بعلاقة عاطفية.. وكانت النهاية تقليدية حيث دفعت لها أسرة هذا النبيل مبلغاً كبيراً من المال لكى تخرج من حياته وتمتنع عن التشهير به.

وتوجهت مارى بعد ذلك إلى لندن حيث لم يكن العمل هناك بالسهولة التى اعتادت عليها فى العواصم والمدن الأخرى.

وكان الرجال الذين تعرفت مارى عليهم فى بريطانيا من نوع يختلف كثيراً عن الرجال الذين عرفتهم من قبل حيث كانوا يتسمون بالتحفظ والحرص الشديد وقد نفذت مارى عدة عمليات فى لندن ولكنها لم تقتنع بحجم «منجزاتها» فى العاصمة البريطانية.

وربما كان هذا الفشل النسبى يرجع إلى فقدانها للكثير من سحرها وجمالها بسبب كثرة السهر والافراط فى تناول الخمور مما أدى إلى ظهور التجاعيد على وجهها وزيادة وزنها بعض الشئ.

وقد أحست مارى براحة كبرى عندما علمت أن حبيبها القديم إيدى جورين قد وصل إلى باريس وقررت أن تسافر للحاق به هناك حيث عثرت عليه فى أحد منازل حى «مونمارتر» الشهير وكان يقوم بالاعداد لأكبر عملية إجرامية فى تاريخه..

وكانت هذه العملية يعد لها إيدى جورين هى إقتحام بنك أمريكان

إكسبريس لسرقته. وأكد إيدى لمارى إنه بعد نجاح هذه العملية سيكون بوسعهما التقاعد وإعتزال الجريمة والحياة فى هدوء.

وفى ليلة التنفيذ، توجه إيدى وعصابته إلى مقر البنك حيث تمكنوا من سرقة نصف مليون دولار من العملات الورقية الأمريكية وكانت مارى تقف فى الشارع أمام البنك لمراقبة الطريق حتى تفرغ العصابة من مهمتها.

وهذا الدور الذى قامت به مارى في هذه العملية لم يسبق لها أن لعبته من قبل ولكنها أدته عن طيب خاطر من أجل عيون حبيبها إيدى.

وبعد أن عادت العصابة إلى وكرها، كان القرار الذى إتفقوا عليه بالإجماع هو ضرورة تهريب الأموال المسروقة إلى خارج فرنسا فى أسرع وقت ممكن. فقد كان لكل دقيقة ثمنها وخطرها أيضاً بعد أن شنت الشرطة الفرنسية على الفور حملة كبرى للقبض على اللصوص الذين قرروا أن يتفرقوا بعد أن يقوم إيدى بتهريب الأموال المسروقة إلى خارج فرنسا.

ويبدو أن أعضاء العصابة لم يتحركوا بالسرعة الكافية. فقد وصلت إلى الشرطة معلومات من أحد المرشدين تؤكد تورط إيدى جورين وأميرة شيكاغو فى سرقة بنك أمريكان إكسبريس. وتوجهت الشرطة إلى وكر العصابة حيث قبضت على إيدى ومارى أثناء وضع الأموال فى حقيبة تمهيدا للهروب بها إلى الخارج.

كان إيدى على ثقة من أنه ضائع لامحالة فقد اعتقل وبحوزته الأموال المسروقة ولذلك فعندما قالت مارى للشرطة أنها ليست متورطة فى جريمة السرقة ساندها بقوة وأكد أنها ليست شريكة فى الجريمة.

ورغم تأكد الشرطة الفرنسية من تورط مارى فى جريمة السرقة إلا أنهم أطلقوا سراحها قانعين بالصيد الثمين الذى وقع فى قبضتهم وهو إيدى جورين أخطر لص بنوك فى العالم

وقد استطاعت مارى بعد ذلك الهرب إلى لندن ولكنها لم تستطع تحمل فكرة الابتعاد عن عشيقها إيدى لسنوات.. الذين عادت إلى باريس لرؤيته فى السجن قبل محاكمته.

كانت السلطات الفرنسية قد توصلت إلى أدلة لادانتها خلال التحقيقات فى قضية سرقة بنك أمريكان إكسبريس.. ولذلك تم إلقاء القبض عليها لدى عودتها إلى باريس وتم تقديمها للمحاكمة حيث صدر الحكم بسجنها لمدة خمس سنوات وانهارت مارى عند صدور الحكم خاصة بعد أن علمت بالعقوبة التى صدرت على عشيقها إيدى جورين وهى السجن مدى الحياة فى المستعمرة الفرنسية وقضت «أميرة شيكاغو» مدة العقوبة بالكامل وعندما خرجت من السجن فوجئت بحقيقة أن جمالها يتوارى بسرعة وارتسمت على وجهها سنوات السهر والجون بالإضافة إلى الآثار التى تركتها فترة الحياة وراء الأسوار.

بعد الخروج من السجن، عادت مارى إلى لندن حيث قامت بتشكيل منظمة إجرامية جديدة عرفت باسم عصابة شارع نوث أمبرلاندن..

وبدأت مرة أخرى تمارس جرائم الاحتيال والابتزاز ولكنها فى هذه المرة استخدمت شبكة من بنات الهوى والعاهرات للإيقاع بالضحايا لأنها لم تعد قادرة على أداء هذا الدور بنفسها.

وقد كانت عودة «أميرة شيكاغو» لممارسة الاحتيال والابتزاز فى لندن خطوة محفوفة بالمخاطر لأسباب عديدة من أهمها أن الفساد لم يكن متفشيا بين رجال الشرطة البريطانية بنفس الدرجة التى كان عليها بالنسبة لرجال الشرطة فى شيكاغو.

وقد شنت الشرطة حملة كبرى ضد عصابة شارع نورث أمبر لاندن وزعيمتها مارى تشرشل وتم خلال هذه الحملة إعتقال العديد من أفرادها بينما تمكنت زعيمة العصابة من الهرب مع عدد من أتباعها.

وقد ظهرت مارى بعد ذلك لممارسة نشاط آخر بعد أن تأكدت أنه لا الزمان ولا المكان أصبحا ملائمين لممارسة جريمة الاحتيال والابتزاز. واختارت هذه المرة أن تدير وكراً لتعاطى المخدرات وخاصة الأفيون قرب ساحة البيكاد يللى فى لندن. وقد أصبح هذا الوكر هو المكان المفضل لمدمنى المخدرات سواء البريطانيين أو السياح الأجانب مما شجع مارى على أن تلحق بوكر المخدرات بيتا للدعارة لجذب عشابق المتعة الحرام أيضاً.

ويقول المؤلف البريطانى جيراله سبارو فى كتابه عن «حياة مارى تيفيان تشرشل أميرة شيكاغو أن نشاط مارى فى هذه المرحلة كان وضيعاً وحقيراً ومنحطاً حتى بالنسبة لنشاطها السابق فى مجال الاحتيال والابتزاز.. فقد كان المترددون على وكرها من حثالة البشر والرعاع.

وذات صباح. سمعت مارى صوت دقات على باب منزلها وعندما فتحت الباب وجدت أمامها عشيقها القديم إيدى جورين.. وكانت المفاجأة شديدة عليها خاصة بعد أن أبلغها أنه نجح فى الهروب من السجن

بمعجزة وأنه الآن يطلب حمايتها ومساعدتها.. كانت مارى مازالت تحب إيدى ولكنها أيضاً كانت تدرك أنها لم تعد ذات قوة ونفوذ كما كانت من قبل ولذلك فقد راودتها شكوك عميقة فى قدرتها على حماية عشيقها القديم أو مساعدته.

ورغم ذلك، عاش ايدى مع مارى لمدة ستة شهور استعادا خلالها ذكريات الأيام الجميلة الماضية.

وبعد ذلك، بدأت مارى تلاحظ اهتمام إيدى بالفتيات الصغيرات العاملات عندها وسرعان ما بدأت الغيرة تسيطر عليها خاصة بعد أن بدأ إهتمام إيدى بها يقل رويداً رويداً..

وبدأت المشاجرات تتفجر.. وذات صباح اختفى ايدى فجأة ومعه فتاة عمرها ١٨ عاماً من العاملات فى بيت المتعة الذى تديره مارى.

وعندما علمت مارى بما حدث قررت أن يكون إنتقامها من هذا العشيق الخائن رهيباً وكانت تعرف جيداً الطريقة التى تدمره بها. واستأجرت قاتلا محترفاً وكلفته بمهمة واحدة هى اغتيال إيدى جورين فى أى مكان وبأى ثمن.

وذات يوم، كانت مارى تسير فى شارع «بومزبرى» فى لندن مع هذا القاتل المحترف وفجأة، وجدت أمامها إيدى جورين مع الفتاة التى فضلها عليها وهرب معها.. لم تتمالك نفسها فاندفعت نحوه وبيدها خنجر كانت تحمله معها فى كل مكان لكى تغمده فى صدره ولكن القاتل المحترف الذى استأجرته كان أسرع منها وأطلق رصاصة من مسدس على العشيق

الخائن الذى سقط على الأرض وسط بركة من دمائه وقد أخذت فتاته الصغيرة تصرخ هلعاً وفزعا بينما هربت مارى والقاتل المحترف قبل أن يمسك بهما أحد..

ورغم خطورة إصابة إيدى جورين إلا أنه نجا من الموت بأعجوبة. واتهم «أميرة شيكاغو» بمحاولة قتله فتم تقديمها للمحاكمة عام ١٩٢٦ مع القاتل الأخير الذى أطلق النار.

وخلال المحاكمة، جلست مارى فيفيان تشرشل كسيرة القلب فى قفص الاتهام. وفى هذه المرة لم تحاول الدفاع عن نفسها وإنكار التهمة بل قالت أنها هى التى أطلقت النار على إيدى جورين وأنه يستحق القتل لأنه خانها ونسى كل ما فعلته من أجله.

وعندما صدر الحكم على مارى بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً، لم يهتز لها جفن بل إستقبلته بابتسامة غامضة وكأنها تستسلم لمصيرها وتقول للعالم كله.. بعد الخيانة لاشئ يهم.

١٣ القانون يحمى هذا النصاب

"وهكذا إستغل المستر برادى النصاب قصور تشريعات الحكومة لتنفيذ مخططاته الشيطانية؟ وتحقيق ثرواث طائلة!!"

فى الوقت الذى كانت الفرحة فيه تتراقص على وجوه المحافظين فى بريطانيا ورئيس وزرائهم الراحل المسترهارولد ماكميلان اثر ورود الانباء بنجاح المباحثات التى دارت فى موسكو من اجل الاتفاق على حظر جزئى للتجارب النووية، وفى وسط معالم الفرحة والابتهاج كانت هناك عاصفة عنيفة تنتظر حكومتهم فى مجلس العموم، حيث طالبت المعارضة العمالية بإجراء تحقيق شامل فى الفضيحة الجديدة عن «راتشمان وعصابته» وقدمت اقتراحات بلوم الحكومة. وكانت اهمية الهجوم الذى شنته المعارضة انه يمس الدعائم الاساسية التى يقوم عليها نظام النشاط الاقتصادى الحر ويبرز خطورة الدور الذى يلعبه اصحاب العقارات والمضاربون.

وكان هذا الهجوم هو السبب فى كشف فضيحة. أعمق ما تمس يقظة الحكومة وسياسة الاسكان وسلوك سلطات الامن الداخلى.

الفضيحة الجديدة التى اطلقت عليها الصحافة البريطانية اسم «أمبراطورية راتشمان» لم تكن اليوم، ففى عام ١٩٥٤ دخل إلى حرم مجلس العموم، النائب عن دائرة برموندساى فى مدينة لندن، فى حالة

غضب جنونى ليطالب بإجراء التحقيق فى تصرفات مغامر استطاع ان يجنى ثروة ضخمة خلال فترة وجيزة عن طريق المضاربة فى العقارات بالاحياء الفقيرة واستغلال سكانها استغلالاً بشعا، مستفيداً مما كانت تعانيه البلاد من نقص شديد فى مساكن الطبقة العاملة بعد الحرب العالمية الثانية. هذا المضارب الافاق هو آرثر ووترز الذى كان معروفا فى هذه الايام باسم «المستر برادى» ووقفت الحكومة عاجزة بسبب قصور التشريع الخاص بالمساكن، كان نذيرا بما سوف يحدث ويعتبر مقدمة لما يجرى بعد ذلك.

وبحلول عام ١٩٥٦ كان الرواج فى ميدان النشاط العقارى قد بلغ الذروة. كان ذلك هو العصر الذى شهد قيام عدد كبير من شركات البناء، واندماج عدد آخر من المشروعات المستغلة فى هذا القطاع. وهذا الرواج الذى كان يتيح اوسع الفرص لاجتناء الارباح الهائلة اجتذب الكثيرين من المضاربين. وكان عدد من هؤلاء الناس من ذوى المراكز العالية والمكانة المرموقة فى مجال الأعمال، ممن أرادوا الكسب السريع. ولكن اندست فى الصفوف جماعات وعصابات من المغامرين والافاقين الذين أرادوا انتهاز الفرصة للاثراء عن طريق الاساليب غير المشروعة فى جوهرها وان بدت فى ظاهرها متمشية مع احكام القوانين.. هذا هو العصر الذى ازدهر فيه نشاط رائشمان وأمثاله.

والعملية بكل بساطة تتلخص فيما يأتى. **يختار المضارب حيا أو شارعا شديد الازدحام بالسكان او ينطوى على امكانيات تبشر بازدياد الطلب على المساكن. وفى هذه المنطقة مجموعة من العمارات أو البيوت القديمة أو التى لاتتوافر فيها الشروط**

الصحية، ومن هنا تكون الايجارات منخفضة. ويقوم المغامر بشراء هذه المبانى أومعظمها، ويتولى اجراء بعض التحسينات، الجوهرية أو المظهرية، أو يعيد تقسيم المبنى حتى يزيد عدد الشقق والغرف. بعد هذا يعمد إلى رفع الايجارات ويأخذ فى طرد السكان الذين يعجزون عن أداء الايجارات الجديدة أو يعترضون عليه، والقانون يخوله مثل هذا الحق. واذا تمت عملية التحسين تصبح المبانى صالحة لسكنى ابناء الطبقة الوسطى المحترمة القادرة.

مثال ذلك ما حدث فى بوويس تبراس الواقع فى نورث كنجستون بلندن، والذى يضم صفا من بيوت لها شرفات فسيحة وكلها ترجع إلى ايام الملكة فيكتوريا. كانت هذه البيوت تسكنها عائلات من الطبقة العاملة، وكان ايجار الشقة المكونة من ثلاث غرف جنيهين فى الاسبوع. حدث بعد ذلك ان اشترى رائشمان هذه البيوت واصبح المكان يعرف باسمه، وراح يستغل الشرفات والبدرومات، وكانت النتيجة ان زاد ايجار المجموعة إلى خمسة امثال ما كانت عليه. ثم انتقلت الملكية إلى أيدى آخرين قاموا بطلاء البيوت، وتصميم المساكن من جديد، فأخذت تجتذب الطبقة المتوسطة، وفى هذه المنطقة كان يقيم افراد السفارة اليابانية.

فالهدف الاساسى الذى يتوخاه المضارب المغامر، شأنه فى هذا شأن أى مالك عقارات عادى، هو ادخال بعض التحسينات والتغييرات البنائية أو الصحية وغيرها فى المساكن التى يشتريها والتى هى فى حالة غير مناسبة،حتى تصبح صالحة لسكنى الطبقة المتوسطة القادرة على دفع الايجار

الجديد المرتفع الذى يعتبر مقابلاً لتكاليف التحسين، وان كان الواضح انه لايتناسب فعلا مع التكاليف الفعلية. أما السكان القدامى الذين يعجزون عن الدفع أو يمتنعون عن الرضوخ لمثل هذا الاسلوب الابتزازى فللمالك الحق فى أن يخرجهم بغض النظر عن المصير الذى ينتظرهم. فالعملية بالشكل الذى وصفناه تعتبر سليمة من وجهة نظر القانون ولا تنطوى على أية مخالفات تستدعى المؤاخذة.

وإذا كان الامر كذلك فأين اذن الإحتيال غير المشروع أو التحايل من جانب امثال راتشمان. أشرنا إلى بوريس تيراس التى اشتراها الرجل، فماذا فعل بعد أن امتلك الشارع؟ لقد حول البدرومات إلى مواخير للدعارة، واصبح الشارع موطنا امتلأ بالمهاجرين الزنوج من أبناء جزر الهند الغربية. وهؤلاء الاخيرون يستطيعون أن يؤدوا المهمة التى يريدها من وراء استقدامهم. هذه المهمة، بالأضافة إلى تصرفات شاذة اخرى، تفسرها لنا السيدة كافلين فار التى تقيم فى حى حدائق سانت ستيفن بمنطقة بادنجتون فتقول:

«ظهر راتشمان على المسرح هنا لأول مرة فى عام ١٩٥٤، ولا أزال أذكر كيف كان يمر فى سيارته لجمع الايجارات.. وقبل ذلك كان يعيش مع امرأة عاهرة فى غرفة واحدة. ثم جعل من حدائق سانت ستيفن مقرا لكل نصاب أو مغامر يمكن أن يخطر على البال.

اصبحت بدرومات البيوت التى امتلكها عبارة عن نواد للقمار وغيره وكان يأتى باللوريات محملة بأبناء جزر الهند الغربية والفتيات البيض

بقصد الاقامة. وكانت الضوضاء فى أثناء الليل مما لايمكن أن يصدقه أحد، فهناك مشاجرات وصراخ وتهشيم زجاجات الخمر وطعن الناس بالخناجر. وضج السكان القدامى بالشكوى المرة ولكن دون أن يهتم، بل ان بعضهم كان يتعرض للتهديد (من جانب أعوان راتشمان)».

فالفكرة اذن كان الغرض منها ازعاج الاسر المحترمة التى لم يستطع الآفاق حملها على مغادرة بيوتهم. والعجيب فى الامر ان جميع البيوت لم تكن مسجلة بقسم راتشمان فى هذا الحى وانما دلت التحريات التى قام بها هؤلاء السكان الاصليون ان عدداً منها كان مسجلاً باسم عشرين شركة. وهذه كانت شركات صورية رأس مال الواحدة منها ٢٠٠ جنيه يملك راتشمان منه ٩٨ فى المائة أما الباقى فمقيد باسم اثنين من اعوانه أو عملائه. وبهذا الأسلوب كان الرجل يرفع الايجارات ويحصل على أرباح ضخمة من تلك المساكن التى اشتراها بثمن بخس.

وكان بعض المغامرين يلجأ إلى اساليب عنيفة لاخراج السكان حتى يحل محلهم من يستطيعون دفع الايجارات الجديدة، ومن هذه الأساليب قطع الماء أو النور عنهم، أو تحطيم بعض النوافذ، أو التعرض لهم اثناء الليل والأعتداء عليهم بالضرب، بل لقد حدث ان هددوا أسرة باختطاف طفليها الصغيرين. واذا اعترض الساكن المسكين. كان الجواب «الدفع أو الطرد وأمامك الحكومة».

ولم يقف الامر عند حد المغامرة فى المناطق المزدحمة بلندن، بل وسع راتشمان مثلا نطاق عملياته ونقلها إلى أماكن مختلفة من البلاد. فمنذ حوالى ١٩ شهراً أنشأ الرجل وزوجته شركة فى أبيديل وهى احدى مناطق

التعديـن، وظلت أرملته تتولـى ادارة المشروع بعد وفاته. هذه الـشركة هى التى اشـار اليها النـائب العمالـى باركين فى مـجلس العمـوم حين ذكر ان راتشـمان رهن الأرض التـابعة للـمشروع، لدى أحـدى شركات التـأمين الكبيرة مقابل مبلغ ضخم. وتمت هذه الصفقة قبل وفاته بوقت قصير.

ولكن ماذا كانت نتائج هذه المغامرات القائمة على النصب والتحايل؟ لقد شرد الالوف من ابناء الاسر الفقيرة من الطبقة العاملة لانهم عـجزوا عن دفع الايـجارات المطلـوبة وراحوا يحاولـون البحث عـن مساكن اخرى. واضـطر عدد كبـير من الاسر المحترمة إلى مغادرة الاحياء الـتى اصبحت مصدر خطر علـى الاعصـاب والاخلاق والامـن بسـبب انـتشـار المواخـير ونوادى القمار وازدحامها بالمجرمين والافاقين.

واضـطـرت الالوف إلـى الـرضـوخ لـشـروط هؤلاء المـلاك ودفـعـوا الايجارات المطلوبة بالـرغم من شعورهم بـأنها قائمـة على ابتزاز عـنيف، وذلك لـصعوبـة الحصول عـلى مسـاكن لـهم فى امـاكن آخرى. هـذه هى الفضيحة التى اهتزت لها بريطانيا عندما أزيح الستار عنها.

وما كان لـهؤلاء المغامـرين أن يلجأوا إلـى هذه الاسالـيب لـولا الارباح الطائلة التى كانوا يحققونهـا، ولنضرب مثالاً واحداً عنها. كان المستر «س» من شركاء راتشمـان السابقين ثم انفصل عنه واصبح يزاول هذا النوع من النشاط لحسـابه الخاص فقيراً للغايـة، اما اليوم فهو مدير لأكثر من عشرين شركة، ويسيطـر على عدد من نوادى القمار فى حـى وست اند «وهو حى الطبقة الراقية» وله مصالح كبيرة فى سباق الكلاب.

وهو يحـصل على إيجـارات ضخمة مـن مساكن كثـيرة فى مناطق كانت من قبل موضع نشاط راتشمان. ومن مظاهر ثرائه انه يملك بيتا ثمنه حالياً يـزيد على ١٠ ملايين جنيه، ويستخدم فى عمليـاته حرسا خاصا يعتبـر من اكبر التنظيـمات التى من هذا القبيل فى الـعاصمة البريطانية. ولقد تحـول فيما بعد إلى عالم الكازينوهات وكان أمله ان يسيطر على اكبر عدد منها.

والسـؤال الذى يتـبادر إلى الـذهن هو: لمـاذا لم يـطلب الـناس حمـاية الدولة لهم؟ وهنا تتعدد الاجابات. ان عدداً كبيراً من هذه البيوت فى حالة سيئة، فاذا تقدمـوا بالشكوى إلى السلطات المسئولة فـأكبر الظن ان الأخيرة تعتبر المـساكن خالية من الشروط الصـحية او انها مزدحمة اكثر مما ينبغى، وفى هـذه الحالات سوف يطـلب إلى السـكان مغادرة المكان حرصا عـلى راحتهم وصـحتهم، ومعنى هذا الالـقاء بهم فى عرض الطريـق وليس من السهل تدبير مكان آخر.

واذا شكوا إلى البوليـس من الموبقات التى ترتكب فالبوليـس لايستطيع ان يفعل شيئا لأن الملكية مقدسة. ان لهم بحكم القانون ان يرفعوا الشكوى إلى المجلس المحلى من المغالاة فى الايجار، وقد يحكم المجلس لصالحهم ولكن عبء التنفيذ يقع على عاتقهم، وهو امر يدعو إلى العجب.

وأكثر من هذا فالعدد الكبير من هؤلاء السكان الفقراء تنقصهم المعرفة بالـقانـون ولا يعلـمون حـقوقهـم المدنـية، ومـن هنا فـإن هؤلاء الآفـاقين يستغلون هـذا الجهل بالقانون والحقوق. واخيرا ـ وليـس آخراً ـ ينبغى إلا نقلل من اهمية عنصر الخوف الذى ينـتاب الاهالى البؤساء بسبب قوة تلك العصابات المجرمة واساليبها الارهابية.

وازاء هذا القصور أو التقصير من السلطات المسئولة عن أمن الشعب وراحته، عمد الناس إلى الدفاع عن انفسهم بكل ما يقدرون عليه من الوسائل، وبعبارة آخرى اخذوا القانون فى ايديهم كما يقال.

ففى حى حدائق سانت ستيفن مثلاً تكونت «رابطة المستأجرين» لاعلان الحرب على راتشمان. واستطاع المستأجرون البيض أن يضموا الملونين إلى صفهم، حتى ان أول سكرتير للرابطة كان من أبناء جزر الهند الغربية. وبمرور الوقت تضخم عدد أعضاء الرابطة حتى اصبحوا ثلثمائة فرد، وجعلوا رسم الاشتراك ثلاثة جنيهات فى الأسبوع

وراح الناس يمطرون المجلس المحلى بالشكاوى المتلاحقة ويبعثون بالاتهامات إلى سلطات البوليس بسبب اقلاق راحتهم وسلامتهم نتيجة الضوضاء المستمرة، وتمكنوا بعد جهد كبير من الحصول على اوامر بأغلاق خمسة من النوادى التى كان يملكها راتشمان الذى اصبح يشعر باخطر يقترب منه. ولكن اعظم اجراء اتخذه اعضاء الرابطة انهم نظموا اضرابا عن دفع الايجارات واصروا على موقفهم بالرغم من كل انواع التهديد التى تلقوها من العصابة.

واذ تحرج الموقف بدأت قبضة راتشمان تضعف واخذت المساوئ تقل بالتدريج قبيل موته، ولكن موته لم يسفر عن تغيير حاسم اذ عادت الاحوال إلى ما كانت عليه بفضل شركائه ومعاونيه وهذا الذى حدث فى

حدائق سانت ستيفن جرى مثله فى مناطق اخرى، حيث لجأ السكان إلى الامتناع عن دفع الايجار الاستغلالى المطلوب، ودافعوا عن انفسهم بالاساليب العتيقة حتى انهم عمدوا إلى تهديد الملاك المبتزين بالضرب وتحطيم ممتلكاتهم والاعتداء عليهم بكل وسيلة ممكنة.

وحين تكشفت هذه الحقائق الرهيبة تساءل الناس فى دهشة: كيف يمكن ان يحدث هذا فى بلد متحضر يفترض فيه ان السيادة للقانون؟ وفى أى بلد حديث يلجأ الأهالى إلى نفس أساليب عصابات الاجرام للدفاع عن انفسهم لأنهم لم يلقوا المساعدة من الدولة؟ وقالت المعارضة العمالية: كيف يمكن الاطمئنان إلى حكومة تسمح بهذه الاوضاع؟

يقول البعض ان قانون المساكن هو المسئول لأنه يمنح المالك الحق فى اخراج الساكن حسب هواه، ولأن عقوبة المخالفة طفيفة اقصاها غرامة ١٠٠٠ جنيه والحبس لمدة ثلاثة اشهر. ومع ذلك فالاجراءات القانونية طويلة معقدة، كما ان السكان الفقراء لا يملكون الموارد التى تمكنهم من مقاضاة المالك الذى يستغلهم.

ويلقى البعض المسئولية على سلطات البوليس لأن حالات الازعاج التى يدبرها المغامرون تقع تحت سمع البوليس وبصره، ولكنه لا يتخذ الاجراءات الواجبة. ويدافع البوليس عن نفسه قائلا ان للملكية حرمة وهو لايستطيع ان يفعل شيئا لأن المالك او الساكن حر فى بيته. وهذا دفاع الذى

يشعر بذنبه، لأن من واجب سلطات الامن ان تحول دون هذه الاعمال التى تسئ إلى الهدوء والامن والاخلاق، وفى مثل هذه الحالات لا ينبغى اطلاقا التعلل بحرمة الملكية أو الحريةالشخصية لأن هذه الحقوق ليست مطلقة ولا ينبغى ان تكون مصدر ضرر للغير.

ولكن المسئول الحقيقى هو: سياسة الاسكان. فالمعارضة تتهم حكومة المحافظين بأنها لم تنفذ خلال فترة حكمها الطويلة برنامجا فعالا وكافيا بقصد توفير المساكن للطبقة العاملة. هذا العجز الواضح فى عدد المساكن هو الذى اتاح للمغامرين الفرصة للمضاربة واستغلال الناس وابتزاز أموالهم بمثل هذه الطرق غير المشروعة.

فهرست

مسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
	إهداء.	٥
	تقديم.	٦
	كلمة الناشر.	١١
٠١	الكونت المحتال باع برج ايفل.	١٣
٠٢	ملك النصب يحول التراب إلى ذهب.	٢٥
٠٣	زعماء ولكن.. نصابون ومحتالون.	٣٦
٠٤	وكانت أسلحة المحتال المال والسلطة.	٤٨
٠٥	لصوص الكمبيوتر عباقرة النصب.	٦٤
٠٦	تمثال الحرية للبيع وساعة بج بن للإيجار.	٧٠
٠٧	القديسة صديقة الفقراء محتالة من نوع خاص.	٧٩
٠٨	عملية مدام كيتى وقصر المتعة.	٩٠
٠٩	الفنان المحتال والخطة الجهنمية.	١٠٦